

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي



قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

جماليات المدائح النبوية عند شعراء العصر الحديث
- نماذج مختارة -

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب حديث ومعاصر

إشراف:

- أ.د: عباس بلحاج

إعداد الطلبة:

-حنكة سهيلة

-قويدري هنية

- قيدوم أحمد

الصفة	الجامعة	الرتبة	الإسم واللقب
رئيسا	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي -	دكتور	يوسف عايب
مشرف ومقرا	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي -	دكتور	عباس بلحاج
مناقشا	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي -	دكتور	علاء مداني

الموسم الدراسي: 1442/1443هـ - 2021م/2022م

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

شكر و عرفان

قال الله تعالى : " إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ط "

باسم الرب خالق الوجود الذي لا تسع رحمته جميع الأرجاء و الحدود ،مولانا
نقف لك تشكرا و حمدا وثناء و تعظيما ، على إعطائك لنا قوة البال و العزيمة
و الصبر ، تتبع تسليما على رسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، أما بعد :
إليك أستاذنا الفاضل " عباس بلحاج " ، شكر وتقدير لإمدادك لنا بيد العون ،
فكنت الصدر الكبير لسعة بالك علينا فكنت خير المشرف و خير العون ،
بتوجيهاتك ونصائحك ، التي كانت الدافع لموصلتنا لإنجاز بحثنا ، فجزاك الله
خييرا .

كما أتقدم بالشكر للأستاذ الذي ساعدنا لإتمام هذا البحث الأستاذ الدكتور "

محمد قيوم "

مع باقة ورد يصاحبها شكر و عرفان لكل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاز
هذا البحث.

يعد المديح النبوي أحد أغراض الشعر العربي، وأحد أهم موضوعاته، وقد نظم الشعراء فيه قصائد عديدة منذ ظهور الإسلام إلى يومنا هذا، فعبّر الشعراء من خلاله عن عواطفهم وحبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فاهتموا بمدح خير البرية وخاتم الأنبياء وسيد المرسلين وأشرف الخلق أجمعين محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وسلامه، وذكر خصاله الشريفة، وأخلاقه الحميدة، ومعجزاته الخارقة. فقد أظهر الشعراء مهارتهم في تصوير حياته، وتبيان فضائله في قالب فني جميل خالص نابع من شعور صادق.

- وكان لشعراء العصر الحديث ولا سيما الكلاسيكيين باع واسع في هذا النوع من الشعر، ومن هنا يندرج عنوان بحثنا هذا "جماليات المدائح النبوية عند شعراء العصر الحديث" - نماذج مختارة -، وسبب اختيارنا لهذا الموضوع هو حبنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ورغبتنا في التعرف على سنته، بغرض اقتفاء أثره، واتباع نهجه، من خلال دراسة الشعر الذي يتناول سيرته صلى الله عليه وسلم، ويتغنى بشمائله الفاضلة وصفاته الكريمة، لشعراء سطع نجمهم في سماء قصيدة المديح النبوية، على غرار: محمود سامي البارودي، وأحمد شوقي، وأحمد محرم، ومحمد العيد آل خليفة... وقد واجهنا في مشوار دراستنا لهذا الموضوع الشيق مجموعة من الإشكالات منها: - ما المديح النبوي؟ ومتى نشأ؟ وكيف تطور عبر العصور؟ وما أشكاله؟ ما أهم خصائصه الفنية؟ وللإجابة على هذه التساؤلات، اقترحنا خطة بحث على ضوء المنهجية التالية:

الفصل الأول: شعر المديح في العصر الحديث

- مفهوم المديح النبوي: لغة واصطلاحاً.

- نشأة شعر المديح النبوي وتطوره.

- أشكال المدائح النبوية والمعارضات الشعرية في المديح النبوي.

- الخصائص الفنية للمديح النبوي.

الفصل الثاني: جماليات قصيدة المديح النبوي في العصر الحديث.

- المضامين الشعرية في قصيدة المديح النبوي.

- الخصائص الفنية للمديح النبوي.

وقد اعتمدنا في دراستنا على المنهج التاريخي القائم على آليتي الوصف والتحليل من أجل تتبع نشأة شعر المديح النبوي وخصائصه الفنية، معتمدين مجموعة من المصادر والمراجع أهمها: ديواني: "كشف الغمة في مدح سيد الأمة" للبارودي، و"الشوقيات" لأحمد شوقي، ومن المراجع: كتاب "المدائح النبوية" لمحمود علي المكي.

أما بالنسبة للصعوبات فإننا لم نواجه صعوبات تذكر أو عقبات تعيق بحثنا، حامدين الله وشاكرين فضله.

وفي الختام نتقدم بجزيل الشكر ووافر الامتنان للأستاذ عباس بلحاج الذي كان لنا المشرف والموجه، فجزاه الله عنا خير الجزاء.

الوادي في: 4 جوان 20

الفصل الأول :

- المبحث الأول : المفهوم و النشأة و التطور

01- أشكال المدائح النبوية

02- المولديات

03- الشوقيات

04- الخمسات و المصمطات

05- المعارضات

- المبحث الثاني : الخصائص الفنية و أهم الشعراء

01- الخصائص الفنية

02- أهم الشعراء الذين مدحوا الرسول صلى الله عليه وسلم

01- مفهوم المديح النبوي :

يعتبر المدح من أهم الأغراض الشعرية التي تناولتها القصيدة العربية على مر العصور، إذن فالمدح هو فن من فنون الشعر منذ العصر الجاهلي إلى يومنا هذا. ولمعرفة هذا الفن لابد أن نرجع إلى تعريفه لغة و اصطلاحاً .

أ- لغة : عرفه ابن منظور: " أن المدائح مشتقة من مدح بفتح الحروف الثلاثة ، فيقال : مدحه مدحاً ومدحة"¹، إذن فهو نقيض الهجاء ، وحسن الثناء.

- أما معجم العين للفراهيدي فيعرفه بأنه : " المدح ، وهو حسن الثناء والمدحة اسم المديح، وجمعه مدائح ومدح يقال مدحته وامتدحته"²

- وقد ورد في معجم الوسيط على أنه : " ذكر الشمائل والمناقب فنقول : مدحه مدحاً أي أثنى عليه"³. فالمدح هو فن الثناء والتغني بالقيم والأخلاق الفاضلة ، وهو أحد الأغراض الشعرية ، هدفه تعداد صفات الممدوح.

ب - اصطلاحاً : يعتبر المدح فن الثناء والاحترام والإكبار من شأن الممدوح فالمدائح النبوية من فنون

الشعر التي أذاعها التصوف ، فهي لون من التعبير عن العواطف وباب من الأدب الرفيع لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص⁴.

أما المديح النبوي عند جميل حمداوي فيعرفه بأنه :

"ذلك الشعر الذي ينصب على مدح النبي صلى الله عليه وسلم بتعداد صفاته الخُلقية والخُقية وإظهار الشوق لرؤيته وزيارة قبره والأماكن المقدسة التي ترتبط بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم مع ذكر معجزاته المادية والمعنوية ، ونظم سيرته شعراً والإشادة بغزواته وصفاته المثلى والصلاة عليه تقديراً وتعظيماً"⁵.

¹ ابن منظور أبو الفضل جمال الدين ، لسان العرب ج2 ، بيروت ، ب ط ، 1956 ، ص 59

² الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، ص 126.

³ مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، دار المعارف ، مصر ، ط 2 ، 1973 ، ص 857

⁴ زكي مبارك ، المدائح النبوية ، دار المحجة البيضاء ، مصر ، ط 2 ، ب ت ، ص 17

⁵ جميل حمداوي ، شعر المديح النبوي في الأدب العربي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ب ط ، 2007 ، ص 01

02- نشأة المديح النبوي وتطوره:

لقد برز اهتمام الشعراء بهذا النوع من المديح النبوي ، حيث أنهم مدحوا خير الأنام وسيد الخلق " محمد صلى الله عليه وسلم " ، وذكروا صفاته وأخلاقه ومعجزاته المادية والمعنوية، وعند تأملنا لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وشخصيته، نجد بأن الشعراء العرب القدماء خاصة والمحدثين قد اعتمدوا عليها في أقوالهم ، وجعلوها فنا في مدحه والثناء عليه ، ووصف أخلاقه الحميدة، وشمائله الفاضلة . كانت العرب تعيش في أطراف الأرض على نظام عجيب وأسلوب غريب ، لاتجمعهم دولة، ولا يحكمهم سلطان، ولا ينظمهم قانون واحد. يدينون طوراً بالنصرانية وآخر بالوثنية ، أو اليهودية ، مشبعة آرائهم ، مختلفة مذاهبهم ، يخضعون لكسرى أو لقيصر أو لما تحتها من نفوذ ، ويحيون على عشائر وقبائل تتناحر، وتتصادم، يختلف إليها البؤس والشريد والجور ، فكأنها تنتظر زعيماً يجمع شملها، وقائداً يفيد من شجاعتها، وإماماً يوحد بين آرائها ، فلما ظهر محمد صلى الله عليه وسلم في قريش ودعا إلى وحدة العرب و اتحادهم واجتماعهم تحت دين واحد وراية واحدة ، لينقذهم من فوضى تشل حياتهم ... هزت دعوته القبائل ورؤساءهم ، وبلغت الممالك المجاورة وملوكها ، فوقفت بين مصدقة ومكذبة ، وبين مناصرة ومعارضة لتلك الدعوة¹.

فلم يكن من الغريب ان يوظف الشعر في الصراع الدائر بين دعوة الإسلام والمشركين ، وكان من الطبيعي أن يتضمن الشاعر المناصر للإسلام مديحاً للرسول صلى الله عليه وسلم، حيث يعد هذا المديح هو البذرة الأولى لفن المدائح النبوية الذي قدر له بعد قرون أن يستقل بذاته.²

¹ سامي الدهان ، المديح ، دار المعارف ، بيروت ، ب ، ط ، ب ، ت ، ص 75 ، ص 76

² محمود علي المكي ، المدائح النبوية ، الشركة المصرية لونجمان ، لبنان ، ط 1 ، 1991 ، ص 6

إذا تناولنا الحديث عن مدح النبي صلى الله عليه وسلم، ليس بوسعنا أن نهمل الأعشى الذي يقول في قصيدته:

أَلَمْ تَغْتَمِصْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا *** وَعَادَكَ مَا عَادَ السَّلِيمَ الْمُسَهَّدَا
وَمَا ذَاكَ مِنْ عَشْقِ النِّسَاءِ وَأَنْمَا *** تَنَاسَيْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ خُلَّةَ مَهْدَا

ويقول أيضا :

فَأَلَيْتُ لِأُرْثِي لَهَا مِنْ كِلَالَةٍ *** وَلَا مِنْ حَفِي حَتَّى تَزُورَ مُحَمَّدَا
نَبِيَّ يَرَى مَا لَا تَرُونَ وَذِكْرُهُ *** أَغَارَ لَعَمْرِي فِي الْبِلَادِ وَأُنْجَدَا
لَهُ صَدَقَاتٌ مَا تُغِبُّ وَنَائِلٌ *** وَلَيْسَ عَطَاءُ الْيَوْمِ مَانِعُهُ غَدَا¹

فجاء مدح الأعشى للنبي صلى الله عليه وسلم على طريقة الجاهليين الذين اشتهروا بالسخاء والكرم ،
فالشاعر حاول أن يقرب لنا الصورة بين الماضي والحاضر في مدحه للرسول صلى الله عليه وسلم من
الذي يتمثل في الخيرة والعطاء والصدقات ، ولا يستوقف نظرنا من الشعر المنسوب لأبي طالب في مدح
الرسول صلى الله عليه وسلم إلا قصيدته اللامية الطويلة التي مطلعها :

لَمَارَأَيْتِ الْقَوْمَ عِنْدَهُم *** وَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ الْعُرَى وَالْوَسَائِلِ

ويقول في قصيدة موالية مشهورة :

أَبْيَضُ يَسْقِي الْغَمَامَ بُوْجَهَهُ *** شَمَالُ الْيَتَامَى عَصْمَهُ لِلْأْرَامِلِ²
يقول ابن سلام : " إن أبا طالب كان شاعرا جيد الكلام " ويعد من أبرع شعراء مكة³.
ومنها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وهي أواخر أبيات القصيدة :

لَعَمْرِي لَقَدْ كَفَيْتُ وَجَدًا بِأَحْمَدٍ *** وَإِخْوَتِهِ دَابَّ الْمُحِبِّ الْمُوَاصِلِ
فَلَا زَالَ فِي الدُّنْيَا جَمَالًا لِأَهْلِهَا *** وَزَيْنًا لِمَنْ وَّلَاهُ رَبُّ الْمَشَاكِلِ
فَمَنْ مِثْلُهُ فِي النَّاسِ أَيُّ مُؤَمِّلٍ *** إِذَا قَاسَهُ الْحُكَّامُ عِنْدَ التَّفَاضُلِ
حَلِيمٌ رَشِيدٌ عَادِلٌ غَيْرُ طَائِشٍ *** يُوَالِي إِلَهًا لَيْسَ عَنْهُ بِغَافِلٍ⁴

فابن أبي طالب يعد لنا بعض السمات والصفات الحميدة لخير البرية عند ماهاجر النبي صلى الله عليه
وسلم إلى يثرب أسلم العديد من الناس ومن بينهم حسان بن ثابت ، كعب بن زهير ، وغيرهم ...

¹الأعشى. ديوان الأعشى. قدمه: محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1993. ص49.

² ديوان أبي طالب. شرحه: محمد التونجي، دار الكتاب العربي. بيروت، ط1، 1994م. ص5.

³ محمود علي مكي. المدائح النبوية. ص9.

⁴ ديوان أبي طالب. شرحه: محمد التونجي. ص72 و73.

فحسان أظهر براعته في مدح النبي صلى الله عليه وسلم حتى لقب بشاعر الرسول عليه الصلاة والسلام، فكان رضي الله عنه من أبرز المدافعين عن الإسلام بشعره. وحينما قدم على الرسول صلى الله عليه وسلم سبعون أو ثمانون رجلاً من تميم، وكان فيهم الزبيرقان بن بدر، وهو من خيرة شعراء تميم فأنشد قصيدة فخر، فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم حسان أن يجيبهم، فأنبرى رضي الله عنه ينشد شعراً إلى أن قال :

أَكْرَمَ بِقَوْمِ رَسُولُ اللَّهِ قَائِدُهُمْ *** إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشِّيْعُ
فَإِنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ *** إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جَدُّ الْقَوْلِ أَوْ شَمَعُوا¹.

وكذلك من قصائده "همزيتة" التي يهجو فيها أبا سفيان بن الحارث، يقول فيها :

وَقَالَ اللَّهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا *** يَقُولُ الْحَقَّ إِنْ نَفَعَ الْبَلَاءُ
شَهِدْتُ بِهِ وَقَوْمِي صَدَّقُوهُ *** فَفُلْتُمْ مَا نُجِيبُ وَمَا نَشَاءُ
وَجِبْرِيْلُ أَمِينُ اللَّهِ فِينَا *** وَرُوحُ الْقُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ²

يدعو الشاعر في هذه الأبيات إلى تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم، والإيمان به ويقول أيضا :

وَأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي * * وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ
خَلَقْتَ مَبْرَأً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ * * كَأَنَّكَ قَدْ خَلَقْتَ كَمَا تَنْشَاءُ³

والملاحظ على شعر حسان الإسلامي معظمه كان من قبيل المساجلات والنقائض مع شعراء قريش، أو في رثاء من ينال الشهادة من الصحابة في معاركهم مع المشركين.

وهذه الفترة لم تقتصر على شاعر واحد، بل هناك العديد من الشعراء الذين كرسوا أنفسهم من أجل الدفاع عن الدين الإسلامي، ومدح النبي صلى الله عليه وسلم، والذود عنه، ومن بينهم كعب بن زهير الذي مدح الرسول صلى الله عليه وسلم في قصيدته "بانة سعاد "

¹ ديوان حسان بن ثابت الأنصاري. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1994م. ص153.

² المرجع نفسه. ص20.

³ ديوان حسان بن ثابت الأنصاري. ص20 و21.

وتقع لامية كعب في ثمانية وخمسين بيتاً، على عادة شعراء الجاهلية في ابتداء قصائدهم بمقدمات غزلية، يقول في مطلعها:

بأنت سعادُ قَلْبِي اليَوْمَ مَتَبُولٌ *** مُنِيْمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُجَزَّ مَكْبُولُ
وَمَا سَعَادُ غَدَاةِ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا *** إِلَّا أَعْنُ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ¹
ثم انتقل إلى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم:

أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي *** وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ
مَهْلًا هَذَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْ *** فُرَانَ فِيهَا مَوَاعِظٌ وَتَفْصِيلُ²

ويقول بعد ابیات :

إِنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَنْضَاءُ بِهِ *** مُهَيَّئٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ³
فصورة النور هنا تصور شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم العادل والصادق الأمين .

لقد برز اهتمام كعب بن مالك أيضاً بالمدح النبوي ، حيث يقول في قصيدته :

وَمَوَاعِظٌ مِنْ رَبَّنَا تُهْدَى بِهَا *** بِلِسَانِ أَزْهَرَ طَيِّبِ الْأَنْوَابِ⁴

حتى قال له الرسول صلى الله عليه وسلم : " شكرك الله يا كعب على قولك هذا " .

ومن الشعراء أيضاً عبد الله بن رواحة ، فقد كان رضي الله عنه أحد الشعراء الثلاثة الذين تصدوا للمشركين ودافعوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن الإسلام والمسلمين .

حيث يقول في قصيدته :

إِنِّي تَقَرَّسْتُ فِيكَ الْخَيْرَ أَعْرِفُهُ *** وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ مَا خَانَنِي الْبَصْرُ
أَنْتَ النَّبِيُّ وَمَنْ يُحْرَمَ شَفَاعَتَهُ *** يَوْمَ الْحِسَابِ فَقَدْ أَزْرَى بِهِ الْقَدْرُ⁵

لقد تطور المدح النبوي تطوراً واضحاً في الفترة التي كان فيها المسلمون في محن وشدائد ، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يوجه الشعراء للدفاع عن العقيدة ، والرد على هجوم المشركين وعلى يد الذين دافعوا عن الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم : حسان بن ثابت ، وصاحب البردة كعب بن زهير ، و كعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة .

¹ ديوان كعب بن زهير . علي فاعور . دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ب، ط، 1996م . ص60.

² المرجع نفسه . ص65.

³ المرجع نفسه . ص67.

⁴ ديوان كعب بن مالك . تح: مجيد طراد . بيروت، ط1، 1997م . ص98.

⁵ ديوان عبد الله بن رواحة . تح: وليد قصاب . دار العلوم، ط1، 1982م . ص94.

وقد امتد نور الإسلام إلى خارج الجزيرة العربية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وفي عهد الخلفاء الراشدين ، ثم من تلاهم من بني أمية وبني العباس ، وفي العصر الأموي ارتبط المديح النبوي بمدح آل البيت وتعداد مناقب بني هاشم و أبناء فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم - رضي الله عنها - ومن بين الشعراء الذين دافعوا عن الهاشميين كميث بن زيد الأسدي، وهو أحد شعراء هذا العصر كما يعتبر أول شاعر أعاد المديح النبوي .

أما حبه لآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه يعبر عنه بحرارة وإخلاص تشهد عليهما أبياته الأولى من قصيدته المشهورة:

طَرِبْتُ وما شَوْقاً إلى البِيضِ أَطْرَبُ *** ولا لِعَبَا مَنِّي أدُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ
ولم يُلْهِنِي دارٌ ولا رَسْمٌ مَنْزِلٍ *** ولم يَتَطَرَّنِي بَنانٌ مُخَضَّبُ
إلى النَّفْرِ البِيضِ الَّذِينَ بِحُبِّهِمُ *** إلى الله فِيمَا نَابَنِي أَتَقَرَّبُ
بَنِي هَاشِمٍ رَهْطِ النَّبِيِّ فَإِنِّي *** بِهِمُ وَلَهُمُ أَرْضَى مِراراً وأَغْضَبُ¹

وهكذا بلغت شاعرية الكميث إلى أن ذاعت دييحاته وأشتهرت وصارت عنواناً معروفاً بها عند الرواة. ومن الشعراء الذين مدحوا الرسول صلى الله عليه وسلم دعبل الخزاعي، وهو شاعر مطبوع اشتهر بالهجاء. يقول في إحدى قصائده التي تعد من أفضل ما قيل في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم:

وقال رسول الله نُحَفَّ جَسُومُهُمُ *** وآل زيادٍ وغلظ القَصَراتِ
إذا وتروا مدوا إلى واتريهمُ *** أكفاً من الأوتارِ منقبضاتِ²

أما مهيار الديلمي فيقول في بائته المشهورة والتي مدح فيها الرسول عليه الصلاة والسلام وآل بيته :

أمثل محمد المصطفى *** إذا الحكم وليئُموه لبيبا
بعدلٍ مكانَ يكون القسيمُ *** وفصلٍ مكانَ يكون الخطيبا
وثبتت إذا الأصلُ خان الفروعُ *** وفضلٍ إذا النقصُ عاب الحسينيا³

وهؤلاء الشعراء أيضا لهم بصمة لا تنكر في شعر المديح النبوي، على أن منهم من أسرف في مدح آل البيت، وقد يكون دافعهم في ذلك مذهبي، ومهما يكن الدافع فإنهم مثلوا حلقة وصل في هذا الغرض بين الشعراء الذين سبقوهم و شعراء القرون الموالية، حتى القرن السادس الهجري. وقد يطول الحديث بنا إذا أردنا استقراء تاريخ هذا النوع من الشعر وعد شعرائه ودراسة أسلوبه، بعد القرن السادس وعلى امتداد

¹ شرح هاشميات الكميث بن زيد الأسدي. تفسير ابن رياش أحمد بن إبراهيم القيسي، تح: داوود سلوم، نوري حمودي، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط2، 1986م. ص46.

² ديوان دعبل الخزاعي. تح: حسين الأعلمي. مؤسسة الأعلاميين للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1997. ص21.

³ ديوان مهيار الديلمي. ج1، دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط1، 1925م. ص13.

القرن السابع، لكن وعلى الرغم من ذلك فإن هناك من الشعراء من يستحق منا وقفة خاصة، نحو الشاعر شرف الدين البوصيري، الذي يقول في برده :

وكلهم من رسول الله ملتَمَسٌ *** عَزْفًا مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدَّيْمِ
وواقفونَ لِدِيهِ عِنْدَ حَادِّهِمْ *** من نِقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الْحِكْمِ¹

ثم يبين الشاعر الشمائل التي ميز الله بها نبيه عن بقية الخلق، والخصال التي خصه بها دونهم، بإبراز فضله عليهم، وعلو مكانته بينهم، وجلال هيئته فيهم، على الرغم من طبيعته البشرية، فيقول :

فمبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ *** وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كَلِمٌ
وَكُلُّ آيٍ أَتَى الرَّسُلُ الْكِرَامُ بِهَا *** فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمْ
فإنَّهُ شَمْسٌ فَضْلٌ هُمْ كَوَاكِبُهَا *** يُظْهِرُنَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ
أَكْرَمُ بِخَلْقِ نَبِيِّ زَانَهُ خُلُقٌ *** بِالْحَسَنِ مُشْتَمِلٍ بِالْبِشْرِ مُتَّسِمٌ
كَالزَّهْرِ فِي تَرْفٍ وَالبَدْرِ فِي شَرْفٍ *** وَالبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَالدَّهْرِ فِي هِمَمٍ²

ولم يفتر غرض المديح في العصر الحديث، فقد لقي اهتماما كبيرا من قبل شعراء عصر النهضة الذين أخذوا على عاتقهم مسؤولية الرقي بالمجتمعات العربية والإسلامية، والنهضة بهذه الأمة بنشر الوعي الديني، فكان ذلك من خلال تناول سيرة المصطفى صلى الله عليه، وتبيان خصاله الكريمة، وأخلاقية الحميدة، وإبراز فضله على الناس جميعا، والحث على اقتفاء أثره، والسير على نهجه، للفوز بنعيم الدنيا والآخرة، ومن أبرز شعراء هذا العصر الذي نظموا في هذا الغرض، أحد أهم رواد الشعر الكلاسيكي العربي، وباعث نهضة الأدب العربي في العصر الحديث محمود سامي البارودي، حيث يقول

لَمْ يَتْرِكِ الدَّهْرُ لِي مَا اسْتَعِينُ بِهِ *** عَلَى التَّجْمُلِ إِلَّا سَاعِدِي وَفِي
هَذَا يُحَبَّرُ مَدْحِي فِي الرَّسُولِ وَذَا *** يَبْتَلُو عَلَى النَّاسِ مَا أُوْحِيهِ مِنْ كَلِمِي
وَإِنَّمَا هِيَ آبِيَاتٌ رَجَوْتُ بِهَا *** نَيْلَ الْمُنَى يَوْمَ تَحْيَا بَدَّةَ الرَّمَمِ
نَثَرْتُ فِيهَا فَرِيدَ الْمَدْحِ فَإِنْتَضَمَتْ *** أَحْسِنِ بِمُنْتَثِرٍ مِنْهَا وَمُنْتَضَمٍ³

¹ ديوان البوصيري، شرف الدين أبي سعد الله محمد بن سعيد البوصيري، تح: محمد سيد كيلاني، شركة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1955، ص 193

² المرجع نفسه. ص195.

³ ديوان محمد سامي البارودي، كشف الغمة في مدح سيد الأمة، مطبعة الجريدة، يسراى البارودي، مصر، ب ط، 1327، ص

وأنشأ امير الشعراء أحمد شوقي في مديح النبي صلى الله عليه وسلم قصائد عدة منها " الهمزية النبوية
" افتتحها بذكر ما كان لمولده ويقول :

يا مَنْ لَهُ الْأَخْلَاقُ ما تَهْوَى الْعُلَا *** مِنْهَا وَمَا يَنْعَشَقُ الْكُبْرَاءُ
زَانَتْكَ فِي الْخُلُقِ الْعَظِيمِ شَمَائِلُ *** يُغْرِى بِهِنَّ وَيَوْلَعُ الْكِرْمَاءُ¹

فالشاعر جسد لنا خصال وأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم ، فنلاحظ في شعره إبرازه الطابع
الديني، وهكذا اشتهرت براعته وحس شعره . ويقول أيضا في " نهج البردة " المشهورة :

مُحَمَّدٌ صَفْوَةُ الْبَارِي وَرَحْمَتُهُ *** وَبُغْيَةُ اللَّهِ مِنْ خَلْقٍ وَمِنْ نَسَمِ
وَصَاحِبُ الْحَوْضِ يَوْمَ الرُّسُلِ سَائِلَةٌ *** مَتَى الْوُرُودُ وَجِبْرِيلُ الْأَمِينُ ظَمِي²

فالشاعر يمدح النبي صلى الله عليه وسلم ويعطي لنا حقيقة دينية لصفاته عليه الصلاة والسلام و بأنه
أفضل الخلق ، وسيد الأنبياء و المرسلين وصاحب الحوض في دار الآخرة.

¹ ديوان الشوقيات ، احمد شوقي ج1 ، شركة مساهمة مصرية ، مصر ، ب ط ، ب ت ، ص 23-24

² أحمد شوقي . نهج البردة . مكتبة صيد الفوائد ص 03.

03- أشكال المديح النبوي :

يعد فن المديح من أشهر الفنون عند العرب ، ولا يزال المديح النبوي من المواضيع الملهمة لدى الشعراء من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا ، وتطور هذا النوع مع مرور العصور ، حتى أصبح فنا قائما بذاته تشيع فيه العواطف الدينية ، حيث تنوعت وتعددت أشكاله منها المدائح العامة والمولديات والشوقيات والبديعيات والمصمطات وغيرها ولكل منها خصائص تميزها عن غيرها .

أ- المولديات :

وهي المدائح التي تلقى ليلة المولد النبوي، وتشتمل على مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ومدح الأمير الذي ينظم حفل المولد بأمره أو بحضوره.

ومولد الرسول هو أعظم منة من الله عز وجل لقوله: " لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ " ¹

والاحتفال بالمولد النبوي الشريف أصبح موسما أدبيا على جانب كبير من الأهمية، زيادة على مظهره الديني ففيه تتبارى مواهب الشعراء في بث المشاعر الدينية، وإظهار مكارم السيرة النبوية بقصائد تأخذ حظا أوفر من غيرها، ثم التطرق إلى مدح الملوك والسلاطين المحتفلين بهذه الذكرى ²، ومن أبرز الشعراء الذين نظموا في هذا الغرض الشعري في العصر الحديث أمير الشعراء أحمد شوقي، إذ يقول في قصيدته النبوية:

وُلِدَ الْهُدَى فَالْكَائِنَاتُ ضِيَاءٌ *** وَفَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَتَنَاءٌ
الرُّوحُ وَالْمَلَأُ الْمَلَائِكُ حَوْلَهُ *** لِلدِّينِ وَالْدُنْيَا بِهِ بُشْرَاءُ
وَالْعَرْشُ يَزْهَوُ وَالْحَظِيرَةُ تَزْدَهِي *** وَالْمُنْتَهَى وَالسِّدْرَةُ الْعَصْمَاءُ ³

يحتفل الشاعر في قصيدته بمولد سيد الخلق، ممجدا ذكراه، ينقل من خلالها فرحة الخلائق والأرض والسماء بمولده، لما للنبي محمد صلى الله عليه وسلم من مكانة رفيعة عند ربه، فمولده كان بشرى للخلق جميعا من إنس وجن، فقد بعثه الله هدى ورحمة للعالمين صلى الله عليه وسلم. ومن أهم قصائده في غرض المديح النبوي قصيدة "ذكرى المولد" وقد نظمها في تسعة وتسعين بيتا، يقول في مطلعها :

¹سورة آل عمران . الآية 164

² حكيمة بوشلاق. استنساخ نص المديح النبوي من التأسيس إلى الاكتمال ،نموذج. رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي. جامعة محمد بوضياف. المسيلة. الجزائر. 2017م. ص 290.

³ أحمد شوقي. الشوقيات. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، د ط ، 2012. ص 41.

لو قلبي عداة سلا وثابا *** لعل على الجمال له عتابا
ويُسأل في الحوادثِ ذو صوابٍ *** فهل ترك الجمال له صوابا
وكننت إذا سألت القلب يوماً *** تولى الدمع عن قلبي الجوابا
ولي بين الضلوع دم ولحم *** هما الواهي الذي تكلم الشبابا¹

ومن شعراء المغرب العربي الذين كتبوا في هذا اللون محمد العيد آل العيد خليفة في قصيدته ذكرى
المولد النبوي يقول :

ألا أنعم أيها النادي *** بذكرى مولد الهادي
لقد جنناك وراداً *** على آثار وراد
وقمنا في مسرات *** وأفراح وأعياد
نحبي خير مولود *** بدا في خير ميلاد
نحبي سيداً في الخلد *** ق متبوعاً بأسياد²

¹ أحمد شوقي. الشوقيات. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، د ط ، 2012. ص 95

² ديوان محمد العيد آل خليفة ، دار الهدى عين ملية ، الجزائر ، د ط ، 2010 ، ص 72

ب- الشوقيات :

الشوقيات هي لون من الشعرية يعبر فيه الشاعر عن شوقه لزيارة أماكن مقدسة وهي شكل من

أشكال المديح النبوي.

ويعرف لنا " محمد العيد السعيد " قصيدة التشوق بأنها عبارة عن مقطوعة يذكر فيها الشاعر الأماكن التي يذهب إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك يعبر فيها الشاعر عن لهفته لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، ويضيف محمد السعيد على هذا التعريف، فيقول: " تبني قصائد الشوق على وصف الرحلة عبر الفيافي والقفار ومايصاحبها من متاعب ومشاق، وعلى تصوير الأشواق والهيام في زيارة ضريح خير الأنام، والتمرغ بترابه الطاهر، والتعبق بمسكه وشذاه واستهلال الدموع طلبا للمغفرة والشفاعة، ثم تختتم بسلام على خاتم المرسلين"¹

ومن نماذج قصيدة الشوقيات :

يقول الشيخ أحمد الحماوي في قصيدته البردة، التي نظمها في طريقه إلى الحج :

يا غافر الذنب من جود ومن كرم *** وقابل التوب من جان ومُجْتَرِم
ومُسبِلَ السِّتْرِ إحسانا ومرحمةً *** على العُصاةِ بفيضِ الفضل والكرم
أقبل متانىَ واغفر ما جنته يدى *** واستر عيوبي وباعدني عن التهم²
فالشاعر في هذه الأبيات يطلب المغفرة والشفاعة من الله عز وجل.

ويقول أبو حمو الزباني

قَلْبِي انْفَطَرَا وَالدَّمْعُ جَرَى *** وَالرَّكْبُ سَرَى نَحْوَ الْعَلَمِ
قَلْبِي بِنَوَاهِ أَسِيرٌ هَوَاهُ *** فَيَا شَوْقَاهُ إِلَى الْخِيَمِ
سَرَّتِ الْإِبِلَ لَمَّا ارْتَحَلُوا *** قَلْبِي حَمَلُوا فِي رَكْبِهِمْ³

¹ عبلّة سبعة ، الصورة الشعرية في المديح النبوي ، الشاعر حسان بن ثابت ، انموذجا ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر جامعة العربي بن مهيدي ، أم البواقي . الجزائر 2013 ، ص45.

² زكي مبارك ، المدائح النبوية، ص169.

³ حكيمة بوشلاق ، استنشاح نص المديح النبوي من التأسيس إلى إكتمال النموذج ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراة العلوم في الأدب العربي ، جامعة محمد بوضياف ، مسيلة الجزائر ، 2017 ، ص 309.

فالشاعر يصف شوقه لزيارة الحبيب المصطفى ويظهر الحسرة والندم نتيجة تخلف عن الرحلة . ونجد الكثير من الشعراء الذين كتبوا في هذا النوع ، وهو تشوقهم لزيارة الأماكن المقدسة التي عرف بها النبي صلى الله عليه وسلم .

ج- البديعيات :

هي شكل من أشكال المديح النبوي حيث يعرفها محمود علي المكي بقوله : " أنه فن متفرع من هذه الشجرة الوافرة " شجرة المديح النبوي وهو فن يوظف المديح لخدمة علوم اللغة العربية وهو علم البيان"¹. أما زكي مبارك يعرفها بقوله : " وذلك أن تكون القصيدة في مدح الرسول ولكن كل بيت منها يشير إلى فن من فنون البديع"²

ويعرفها علي أبو زيد في كتابه البديعيات فيقول أن لها تعريفاً لها خاصاً وعماماً **التعريف العام :** " يقول البديعية قصيدة طويلة في مدح النبي -و نادرا غيره- يتضمّن كلّ بيت من أبياتها نوعاً من أنواع البديع، يكون هذا البيت شاهداً عليه، و ربّما ورّي باسم النوع البديعيّ في البيت نفسه في بعض القصائد. و على هذا الحدّ يمكننا إدخال جميع «البديعيات» ضمنه، دون أن نشير إلى "بديعيات مخالفة"

التعريف الخاص : " البديعية : قصيدة طويلة في مدح النبي صل الله عليه وسلم على بحر البسيط والروي الميم المكسورة ، يتضمن كل بيت من أبياتها نوعاً من أنواع البديع يكون هذا البيت شاهداً عليه ، وربما ورّي باسم النوع البديعي في البيت نفسه، في بعض القصائد"³ فمن خلال التعريف نقول أن البديعية هي القصيدة الطويلة التي غايتها مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وتكون وفق أسس وضوابط : البحر والروي ، وأن يكون كل بيت من أبياتها نوعاً بديعياً . - وتعد قصيدة صفي الدين الحلي التي عارض بها البوصيري، البداية الحقيقية لهذا الفن ويقول في مطلعها .

إِنْ جِئْتَ سَلْعاً فَسَلِّ عَنْ جَبْرَةِ الْعَلَمِ *** وَأَقْرَ السَّلَامَ عَلَى عُرْبٍ بِذِي سَلَمٍ⁴

¹ محمود علي المكي ، المدائح النبوية ، ص 136

² زكي مبارك . المدائح النبوية . ص 169

³ علي أبو زيد ، البديعيات في الأدب العربي . نشأتها وتطورها وأثارها عالم الكتب . بيروت . لبنان ، ط 1 . 1409 هـ - 1983 م . ص 46

⁴ حكيمة بوشلاق ، استنشاح نص المديح النبوي من التأسيس إلى اكتمال النموذج . ص 325.

وقد قدم قصيدته بكلمة يقول فيها أنه رأى رسالة في منامه من النبي صل الله عليه وسلم يتقاضاه المدح ويعدده السفاء من مرض ألم به ، فيعزم على تأليف هذه القصيدة جامعا فيها أستاذات البديع وسماها "الكافية البديعية في المدائح النبوية"¹

فيقول في هذه القصيدة

هُوَ النَّبِيُّ الَّذِي آيَاتُهُ ظَهَرَتْ *** مِنْ قَبْلِ مَظْهَرِهِ لِلنَّاسِ فِي الْقَدَمِ
مُحَمَّدُ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارُ مَنْ حُتِمَتْ *** بِمَجْدِهِ مُرْسَلُو الرَّحْمَنِ لِلْأَمَمِ
بِهِ اسْتَعَاثَ خَلِيلُ اللَّهِ حِينَ دَعَا *** رَبَّ الْعِبَادِ فَنَالَ الْبِرْدَ فِي الضَّرَمِ²

وس الصفي هذه الأبيات الخمسة شواهد كل منها على لون من البديع وهو على التوالي التهذيب والتأديب أما في البيت الثاني تكون الميم في كل كلمة وفي البيت الثالث قد سافه على التمكين وتتولى البديعيات بعد ذلك لنقف عند بديعية يحي بن عبد المعطي الراوي فيقول:

و بَعْدَ فَإِنِّي ذَاكَرٌ لِمَنْ ارْتَضَى *** يَنْظُمِي الْعُرُوضَ الْمَجْتَلَى وَالْقَوَافِيَا
أَتَيْتُ بِأَبْيَاتِ الْبَدِيعِ شَاهِدًا *** أَضْمُ إِلَيْهَا فِي نَظْمِي الْأَسَامِيَا³

وسمى قصيدته هذه " البديع وأبياتها كل منها مستقل في الوزن والقافية ففي البيت الأول ذكر شواهد هذا البديع نظما يذكر الشاهد بعد ذلك نظما إسم النوع البديع الواحد. ولا يمكننا أن نتحدث عن هذا الفن دون أن نذكر أهم مؤلفيه وهو ابن جابر الأندلسي الذي اشتهر ببديعيته التي سماها "حلة السير في مدح خير الورى " والنبي عرفت باسم بديعية العميان في تاريخ البلاغة والتي مطلعها:

بِطَيْبَةِ انْزِلِ وَيَمِّمَ سَيِّدَ الْأَمَمِ *** وَانْشُرْ لَهُ الْمَدْحَ وَإِنْشُرْ أَطْيَبَ الْكَلِمِ⁴

فالشاعر يبتدأ قصيدته بالتعبير عن شوقه لطيبة وهي من الأماكن المقدسة حيث يمضي في بديعيته إلى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويذكر فضله على سائر الأنبياء فيقول:

يَمِّمَ نَبِيًّا تُبَارِي الرِّيحَ أَنْمُلُهُ *** وَالْمُزْنَ مِنْ كُلِّ هَامِي الْوَدْقِ مُرْتَكِمِ
لَوْ قَابَلَ الشُّهْبَ لَيْلًا فِي مَطَالِعِهَا *** خَرَّتْ حَيَاءً وَأَبَدَتْ بِرَّ مُحْتَرِمِ
تَكَادُ تَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ *** إِلَى الْوَرَى نُطْفُ الْأَبْنَاءِ فِي الرَّحِمِ

¹ ماسيليا أونيس، كنزة بن بوط .قصيدة المديح النبوي في الجزائري المعاصر . نماذج مختارة .مذكرة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي الحديث و المعاصر .جامعة أم البواقي .2019.2018م .ص 22

² ماسيليا أونيس، كنزة بن بوط .قصيدة المديح النبوي في الجزائري المعاصر . نماذج مختارة . ص 22

³ علي أبو زيد . المرجع نفسه ، ص 68

⁴ زكي مبارك .المدائح النبوية ص 189

لَوْ عَامَتِ الْفُلُكُ فِيمَا فَاضَ مِنْ يَدِهِ *** لَمْ تَلَقَ أَعْظَمَ بَحْرًا مِنْهُ إِنْ تَعُمَّ
تُحِيْطُ كَفَّاهُ بِالْبَحْرِ الْمُحِيْطِ فَلَنْدُ *** بِهِ وَدَعَّ كُلَّ طَامِي الْمَوْجِ مُلْتَطِمًا¹

ولاحظنا أنه كيف جزأ المبالغة إلى أنواع وجمعها في هذه الأبيات الخمسة ومما جاء شرحه فقال في شرح المبالغة: " ذكر المبالغة وهو أنواع وحقيقتها أن يبالغ في المدح وغيره إلى مبلغ بعيد حتى يوهم السامع أن الموصوف فيها وصفته به غير بالغ غايته مع بعد ويسمى هذا النوع التبليغ، ويسمى الإغراق عندما يكون ممكناً عقلاً وعادة أو ممكناً عقلاً لا عادة، ويسمى أيضاً الغلو عندما لا يمكن عقلاً ولا عادة"²

وختم الشاعر قصيدته بقوله :

لكن إن طال مدحي لا أفي أبداً *** فاجعل العذر والإقرار مَحْتَمِي³

ختم الشاعر قصيدته بطلب الشفاعة لغفران ذنوبه، فهذا الفن الشعري جمع بين المتعة والفائدة فهي ذات غاية تعليمية.

د- الخمسات والمسمطات :

1- تعريف الخمسات: هو الشعر الذي يقسم الشاعر قصيدته إلى خمسة أقسام في كل منها خمسة

أشطر مع مراعاة نظام ما للقافية والشعر الخمس نوعان :

النوع الأول : يكون فيه كل خمسة أشطر ذات قافية واحدة ومستقلة تمام الإستقلال في قوافيها وأوزانها عن الأشطر الخمسة التي تليها.

النوع الثاني: هذا النوع يتحدد فيه القافية في الأشطر الخمسة الأولى، أما في باقي مخمسات القصيدة فيكون للأشطر الأربعة الأولى من كل مخمس منها قافية⁴.

ويعرفها سعيد القوراري في قوله: " وهي قصائد مرتبة على حروف المعجم والتي تتكون من قطع تتألف

كل واحدة منها من خمسة أشطر، الأربعة الأولى ذات قافية واحدة، والخامس بحرف روي مختلف،

فتكون الأشطر التي تتكرر من قبل الجالسين في غالب المديح النبوي⁵. وفي هذا الصدد يذكر لنا شوقي

ضيف مخمسات أبي زيد الفازاري. فيقول من قوله المخمس النوني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

¹ علي أبو زيد البديعيات في الأدب العربي نشأتها، تطورها، آثارها ص 76.

² ينظر: المرجع نفسه. ص 76.

³ سعيد القوراري، المدائح النبوية في الشعر الأندلسي في القرن الثامن هجري، مضامينها وأشكالها الفنية، لسان الدين الخطيب وابن جابر، نموذجاً أطروحة مقدمة لنيب درجة الدكتوراة في الأدب العربي، 2016-2017، ص 280.

⁴ سعيد بن عبد الله الواصل، موسوعة العروض والقافية، ص 125.

⁵ سعيد القوراري، المدائح النبوية في الشعر الأندلسي في القرن الثامن هجري، مضامينها وأشكالها الفنية. ص 284.

بَدَا قَمْرًا مَسْرَاهُ شَرْقٌ وَمَغْرِبٌ *** وَخُصَّتْ بِمَثْوَاهُ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ
وَكَانَ لَهُ فِي سِدْرَةِ النُّورِ مَضْرِبٌ *** نَجِيٌّ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مُقَرَّبٌ
حَبِيبٌ فَيَدْنُو كُلَّ حِينٍ وَيَسْتَدْنِي

مِنَ الْعَالِمِ الْأَعْلَى وَمَا هُوَ مِنْهُمْ *** شَبِيهٌ بِهِمْ فِي الْوَصْفِ زَاكٌ لَدَيْهِمْ
رَحِيمٌ بِكُلِّ الْخَلْقِ دَانَ إِلَيْهِمْ *** نَصِيحٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ حَانَ عَلَيْهِمْ
أَضَاءَ لَهُمْ صُبْحًا وَصَابَ لَهُمْ مُزْنًا¹

فالشاعر يشبه الرسول في قوله بالقمر أضواء نوره في جميع الأرجاء من المشرق إلى المغرب وخصت به يثرب كما نجد أن الشاعر يذكر نعجزة الرسول ليلة الأسراء والمعراج في قوله كان له السدرة النور ، شبه بالملائكة في وصفه وهو ليس منهم فهو رحمة للعالمين.

ب- المسمطات:

هي نوع من الشعر يبتدئ فيه الشاعر بيت مصرع غالباً تسمى قافيته عمود القصيدة ، والشطر الخامس في كل خمسة أسطر الأربعة الأولى

المعارضات الشعرية في المديح النبوي :

يعرفها أحمد الشايب في قوله : " والمعارضة في الشعر أن يقول شاعر قصيدة في موضوع ما من أي بحر وقافية فيأتي شاعر آخر فيعجب بهذه القصيدة لجانبها الفني وصياغتها الممتازة، فيقول قصيدة من بحر الأولى وقافيتها، وفي موضوعها أو مع انحراف عنه يسير أو كثير، حريصاً على ما يتعلق بالأول في درجته الفنية أو يفوقه فيها دون أن يعرض لهجائه أو سبّه، ودون أن يكون فخره علانية؛ فيأتي بمعان أو صور بإزاء الأولى تبلغها في الجمال الفني أو تسمو عليها بالعمق أو حسن التعليل، أو جمال التمثيل، أو فتح آفاق جديدة في باب المعارضة"².

فالمعارضة هي أن يقول الشاعر قصيدة يحاكي فيها شاعراً آخر في الموضوع نفسه وعلى القافية نفسها والبحر نفسه، فالمعارضة تفوق القصيدة الأولى من ناحية الجانب الفني والإبداعي، فهي حركة تحي التراث القديم بطريقة تفوق إبداعاً، فنجد العديد من الشعراء من اعتمد على هذا النوع من الفن خاصة في العصر الحديث مع حركة الإحياء ومن أبرزهم أحمد شوقي والبارودي فهم نسجوا على طريقة القدامى، فكلاهما عارض البوصيري في قصيدته " البردة "، حيث تركت هذه القصيدة أثراً بالغاً في

¹ ماسيليا أونيس، كنزة بن بوط. قصيدة المديح النبوي في الجزائر المعاصر. نماذج مختارة. ص24

² إيمان موالدي وليلي مقري، فن المعارضة في الشعر الأندلسي ، معارضة أبوبكر الأشيوي لأبي فيراس الحمداني، نموذجاً شهادة مكتملة لنيل شهادة الماستر، جامعة العربي بن مهدي ام البواقي الجزائر، 2016-2017 ، ص 41 و42

الأدب العربي عامة، وفي الشعر خاصة، فالعديد من الشعراء عارضوا قصيدته، ونجد أحمد شوقي عارضه في قصيدة بعنوان "نهج البردة". والتي يقول فيها:

رِيمٌ عَلَى الْقَاعِ بَيْنَ الْبَانِ وَالْعَلَمِ *** أَحَلَّ سَفَاكَ دَمِي فِي الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ¹

ويواصل شوقي في قصيدته ليعدد لنا معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم ويصف لنا ليلة الإسراء والمعراج:

أَسْرَى بِكَ اللَّهُ لَيْلًا إِذْ مَلَائِكُهُ *** وَالرُّسُلُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى عَلَى قَدَمِ²

فبعد ما ذكر لنا الشاعر معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم يناجي الرسول صلى الله عليه وسلم، فالشاعر سار على مسار البردة ليكمل قصيدته بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وتعداد شمائله وصفاته ويختم قصيدته في خشوع وطلب اللطف في القضاء، بجاه نبيّه الكريم. نرى أن شوقي لم يكن معارضاً تقليدياً بل كانت نظرتة متأملة لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، وأيضاً صور لنا واقع الأمة الإسلامية، فالشاعر في قصده يواكب ما أصاب المجتمع. وأيضاً من أبرز الشعراء الذين عارضوا البوصيري نجد " البارودي " في قصيدته "كشف الغمة" في مدح سيد الأمة ومطلعها :

يَا رَائِدَ الْبَرْقِ يَمِّمِ دَارَةَ الْعَلَمِ *** وَاحِدُ الْغَمَامِ إِلَى حَيِّ بِيْذِي سَلَمِ³

فالشاعر في مطلعته يذكر المواضع ويهدي التحية فهو لم يخرج عن تقاليد القصيدة القديمة، فعند تتبع القصيدة نجد الشاعر يتحدث عن الرسول صلى الله عليه وسلم منذ مولده إلى وفاته فهو يتتبع حياته ويذكر معجزاته بتدقيق كبير.

ومن المعارضات كذلك معارضة شوقي للبوصيري ، حيث أبدى فيها تأثره الكبير ببردة البوصيري، إلا أن نهج البردة لشوقي لا تقل عنها جمالاً مستهلاً إياها بمقدمة غزلية يصل من خلالها إلى موضوع مدح الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أربعة وعشرين بيتاً متأثراً بأفكار الصوفية:

وظَلَّلَتْهُ فَصَارَتْ تَسْتَظِلُّ بِهِ *** غَمَامَةٌ جَذَبَتْهَا خَيْرَةُ الدِّيمِ
وَنُوْدِي إِقْرَأْ تَعَالَى اللَّهُ قَائِلُهَا *** لَمْ تَنْصِلْ قَبْلَ مَنْ قِيلَتْ لَهُ بِفَمِ
هُنَاكَ أَدْنَى لِلرَّحْمَنِ فَامْتَلَأَتْ *** أَسْمَاعُ مَكَّةَ مِنْ قُدْسِيَّةِ النَّعْمِ⁴

¹ أحمد شوقي . نهج البردة.ص 02

² أحمد شوقي، الشوقيات. ص148.

³ محمود سامي البارودي . كشف الغمة .ص 03.

⁴ أحمد شوقي .نهج البردة ص04.

طغت على أبيات الشاعر نفحات صوفية ويبدو ذلك من خلال انفعال الشاعر، واندماجه نفسيا مع الموضوع، فالشاعر يسرد معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم ويعبر عن نزول الوحي. ويقول البارودي:

فَكَانَ يَوْمًا عَتِيدَ الْبَأْسِ نَالَ بِهِ *** كِلَا الْفَرِيقَيْنِ جَهْدًا وَارِي الْحَدَمَ
أُودَى بِهِ حَمْرَةَ الصَّنْدِيدِ فِي نَفْرِ *** نَالُوا الشَّهَادَةَ تَحْتَ الْعَارِضِ الرَّزِمِ¹

فالشاعر يسرد لنا تاريخا هذه الغزوات لينتقل متحدئا عن فتح مكة وسائر أنحاء الجزيرة مبيينا إنتصار الإسلام ويختم البارودي قصيدته معترف بذنبه معبرا عن ندمه ورجاء المغفرة بجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله :

وَصَلَّ رَبٌّ عَلَى الْمُخْتَارِ مَا طَلَعَتْ *** شَمْسُ النَّهَارِ وَلاَحَتْ أَنْجُمُ الظُّلَمِ
وَالْأَلِ وَالصَّحْبِ وَالْأَنْصَارِ مَنْ تَبِعُوا *** هُدَاهُ وَعَاتَرَفُوا بِالْعَهْدِ وَالذَّمِّ
وَأَمُنْ عَلَى عَبْدِكَ الْعَانِي بِمَغْفِرَةٍ *** تَمْحُو خَطَايَاهُ فِي بَدءٍ وَمُخْتَنَّمِ²

فترى البارودي لم يختلف عن سائر المادحين ، فهو تتبع حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بتدقيق كبير ، حيث ابتعد عن التكلف والبديع ، صادق في تعبيره وأيضا محاكيا في أبياته فحول الشعراء في العصور الأولى وخاصة العصر العباسي ، مستلهما منهم قوة التعبير مستعينا ألفاظهم ، لينسج على منوال البوصيري.

¹ محمود سامي البارودي . كشف الغمة . ص 31.

² محمود سامي البارودي . كشف الغمة . ص 48

المبحث الثاني :

01- الخصائص الفنية .

02- أهم الشعراء الذين مدحوا الرسول صلى الله عليه وسلم

01- الخصائص الفنية للمديح النبوي :

لقد نال المدح حظا وافرا من الاهتمام في شعر الجاهليين ، و إن لم يكن غرضا مستقلا بذاته إلا أنهم أشاروا إليه في قصائدهم ، ورفعوا من شأنه و أصبح مقصدا للكثير من الشعراء ، و بالتالي ليس من الغريب أن يتعرض الشعر في صدر الإسلام لهذا الغرض لاسيما إذا كان الممدوح هو سيد الخلق الرسول صلى الله عليه وسلم الذي كملت جميع خصاله الخلقية و الخلقية . ومن هذا المنطلق يقول الدكتور محمد علي مكي : " كان من الطبيعي أن يتضمن الشعر المناصر للإسلام مديحا للرسول صلى الله عليه وسلم و يعد هذا المديح هو البذرة الأولى لفن المدائح النبوية الذي قدر له بعد قرون أن ينتقل بذاته ويصبح من أكثر موضوعات الشعر حظا من القبول والذيع " ¹.

و الحديث عن المديح النبوي لا يكتمل إلا بدراسة أهم مميزاته و خصائصه الفنية التي حفظته من الابتذال و التكلف و أبعده عن الغموض و التعقيد خاصة و أنه يتضمن تعدادا لخصال النبي صلى الله عليه وسلم و قد تعرض الدكتور جميل حمداوي لخصائص المديح النبوي بالتفصيل حيث تعرض تعرض لها من خلال جانبين مهمين يشكلان نواة القصيدة العربية (المضمون والشكل) . حيث يقول ² :

أ- من حيث المضمون : من أهم مميزات المديح النبوي من حيث المضمون :

- أنه شعر ديني ينطلق من رؤية إسلامية ويهدف إلى تغيير العالم المعاش وتجاوز الوعي السائد نحو وعي ممكن يقوم على المرجعية السلفية بالمفهوم الإيجابي .

- هذا الشعر تطبعه الروحانية الصوفية من خلال التركيز على الحقيقة المحمدية التي تتجلى في السيادة و الأفضلية و النورانية ، إذ يشيد بالرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره سيد الكون و المخلوقات ، و أنه أفضل البشر (خُلُقًا و خُلُقًا) و هو كذلك كائن نوراني في عصمته ودمائة أخلاقه ، لذلك يستحق الممدوح كل تعظيم وتشريف . كما أن عشق الرسول صلى الله عليه وسلم يتخذ أبعادا روحانية وجدانية وصوفية في القصيدة النبوية

- يلاحظ ان الغزل الموجود في كثير من القصائد النبوية أو المولدية أنه غزل يتجاوز النطاق الحسي الملموس إلى ما هو مجازي إيحائي .

¹ محمود علي المكي . المدائح النبوية . ص 07.

² ينظر جميل حمداوي . المديح النبوي في الأدب العربي . ص 39. ص 40.

- ويسافر شعر المديح النبوي في ركاب الدعوة المحمدية وشعر الفتوحات الإسلامية ليعانق التيارات السياسية والحزبية فيتأثر بالتشيع تارة والتصوف تارة أخرى. ولن يجد هذا الشعر استقراره إلا مع شعراء القرن التاسع الهجري مع البوصيري وابن دقيق العيد. بيد أن شعر المديح النبوي سيرتبط في المغرب بعيد المولد النبوي وشعر الملحون والطرب الأندلسي ليصبح في العصر الحديث شعرا مقترنا بالمعارضة في غالب الأحيان .

المديح النبوي يتميز بصدق المشاعر ونبيل الأحاسيس ورقة الوجدان وحب الرسول صلى الله عليه وسلم طمعا في شفاعته ووساطته يوم الحساب ، وما حب الرسول في القصيدة المدحية إلا مسلك للتعبير عن حب الأماكن المقدسة والشوق العارم إلى زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم والوقوف على جبل عرفات والانتشاء بكل الأفضية التي زارها الحبيب أثناء مواسم العمرة والحج .

ب- من حيث الشكل :

تستند أغلب قصائد المديح النبوي إلى القصيدة العمودية القائمة على نظام الشطرين ووحدة الروي والقافية واعتماد التصريح والتقفية في المطلع الأول من القصيدة.

- تتسم القصائد النبوية والمولدية الحديثة ذات النمط الكلاسيكي أو التراثي بتعدد الأغراض والمواضيع على غرار الشعر العربي القديم، والسبب في هذا التعدد هو معارضة القصائد الأصلية كقصائد البوصيري وقصائد ابن الفارض وقصيدة كعب بن زهير وغيرها، وهذه المعارضة تدفع الشاعر إلى انتهاج نفس البناء والسير على نفس الإيقاع والروي والقافية واستخدام نفس الألفاظ والأغراض الشعرية، ومن ثم فالقصيدة النبوية تتكون على مستوى البناء من المقدمة الغزلية ووصف المطية ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم والتصلية والدعاء والاستغفار والتوبة ، وهذا ما أفقد المديح النبوي الوحدة الموضوعية والعضوية من وجود الاتساق اللغوي على مستوى السطح الظاهري والانسجام على مستوى العمق الدلالي. وفيما يخص الإيقاع الخارجي، تعتمد قصائد المديح النبوي على البحور الطويلة الجادة التي تتناسب مع الأغراض الجليلة الهامة كالمديح النبوي والتصوف الروحاني والتشيع لآل البيت، لذلك يستعمل شعراء المديح النبوي البحر الطويل والبحر البسيط والبحر الكامل والبحر الوافر والبحر الخفيف. وبعد البحر البسيط من أهم البحور المفضلة لدى شعراء المديح النبوي ولدى شعراء المعارضة. ومن

المعلوم أن البردة التي نظمها الشاعر البوصيري كانت على البحر البسيط ، لذلك أصبحت هذه القصيدة نموذجا يقتدى به في الشعر العربي الحديث من قبل شعراء المديح النبوي موضوعا وإيقاعا وصياغة .
- من أهم القوافي التي استعملت كثيرا في الشعر النبوي الميم والسين واللام والتاء والهمزة والجيم . وهي قوافي صالحة وطبعة لرصد التجربة الشعرية المولدية أو النبوية أو الصوفية الروحانية ماعدا قافية الجيم التي تثير جرسا خشنا ونشازا شاعريا .

- على مستوى الإيقاع الداخلي، فشاعر المديح النبوي يستعمل بكثرة ظاهرة التصريع والتوازي الصوتي والتكرار الإيقاعي والجمع بين الأصوات المهموسة والأصوات المجهورة. وينسجم هذا الإيقاع الشعري بكامله مع الجو الموسيقي والنفسي والدلالي للقوائد المدحية.

تمتخ اللغة الشعرية ألفاظها المعجمية في قصيدة المديح النبوي من حقل الدين وحقل الذات وحقل العاطفة وحقل الطبيعة وحقل المكان وحقل التصوف. كما يمتاز المعجم الشعري بالجزالة وفخامة الكلمات وقوة السبك ورسانة الصياغة وهيمنة المعجم

التراثي و غلبة الألفاظ الغريبة غير المألوفة. لذلك يغلب الجانب التراثي والبيان السلفي على هذا الشعر الديني كتابة وتعبيرا وصياغة .

- يستخدم هذا الشاعر المادح لرسول الله صلى الله عليه وسلم الجمل الفعلية الدالة على التوتر و الحركية والجمل الاسمية الدالة على الإثبات والتأكيد، ونجد كذلك المزوجة بين الأساليب الخبرية والإنشائية، قصد خلق الوظيفة الشعرية بمكوناتها الإيحائية والمجازية. وغالبا ما يستوجب مكون السيرة وسرد المعجزات الأسلوب الخبري، بينما يفترض تدخل الذات وإظهار المشاعر والانطباعات الانتقال من أسلوب إنشائي إلى آخر حسب السياقات المقصدية والوظيفية¹.

يشغل شعر المديح النبوي الصور الشعرية الحسية القائمة على المشابهة من خلال استخدام التشبيه والاستعارة، والاستعانة بالصورة المجاورة عبر المزج بين المجاز

المرسل والكناية الإحالية في التصوير والبيان. ويمكن أن تتخذ الصور البلاغية ذات النطاق الحسي طابعا رمزيا خاصة في المقاطع الصوفية العرفانية. ويتراوح البديع في المديح النبوي بين العفوية

¹ ينظر جميل حمداوي . المديح النبوي في الأدب العربي ص41.42

المطبوعة والتصنع الزخرفي في القصائد المدحية البديعية التي نظمت في العصور المتأخرة كما عند ابن جابر الأندلسي في ميميته البديعية .

وينتقل الشاعر تداوليا في قصائده المدحية من ضمير المتكلم الدال على انفعالية الذات والانسياق وراء المناجاة الربانية والاستعطاف الذاتي إلى ضمير المخاطب أو الغياب للتركيز على الممدوح وصفا وإشادة وتعظيما .

يتضح لنا - مما سبق ذكره - أن شعر المديح النبوي شعر صادق بعيد عن التزلف والتكسب، يجمع بين الدلالة الحرفية الحسية والدلالة الصوفية الروحانية. كما يندرج هذا الشعر ضمن الرؤية الدينية الإسلامية، ويمتخ لغته وبيانه وإيقاعه وصوره وأساليبه من التراث الشعري القديم. مما أسقط هذا الشعر في كثير من الأحيان في

التكرار والابتذال والاجترار بسبب المعارضة والتأثر بالشعر القديم صياغة ودلالة ومقصدية¹.

¹ ينظر جميل حمداوي .المديح النبوي في الأدب العربي .ص 43

02- أهم الشعراء الذين كتبوا في المديح النبوي :

لا نكاد نعرف أمة من الأمم القديمة اهتمت بالشعر واحتفلت له كما اهتم العرب ، ولهذا لم يكن من الغريب أن يوظف الشعر في الصراع الدائر بين دعوة الإسلام والمشركون . ولهذا ظهر كثير من الشعراء من الفريقين ساهموا في تأجيج هذا الصراع فمن المشركون من هجا الرسول صلى الله عليه وسلم وجاهر بكفره ، فكان رد الشعراء المسلمين عليه صارما بالرد عليه والذود عن النبي صلى الله عليه وسلم وهناك من مدح النبي صلى الله عليه وسلم متأثرا بخصاله وأفعاله حتى قبل الدعوة الإسلامية ومن الشعراء الذين مدحوا النبي صلى الله عليه وسلم :

أبوطالب :

لعل أول ما نعرفه من الشعر الذي ققيل في الرسول صلى الله عليه وسلم في الدور المكي من حياته هو الشعر المنسوب إلى أبي طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم وكافله بعد وفاة جده عبد المطلب غير أن معظم المنسوب إليه ورد في سيرة " ابن إسحاق " (المتوفى سنة 150هـ) و الواقع ان هذا الشعر المنسوب إلى أبي طالب كثير كثيرة مفرطة وقد ورد بعضه في سيرة ابن هشام و حذف الكثير منه لشكه فيه ...¹

ومما جاء في شعره عن النبي صلى الله عليه وسلم هو ما ذكره ابن إسحاق لأبي طالب يذكر فيهل لقاء الراهب "بحيرة" للرسول صلى الله عليه وسلم يقول فيها :

إِنَّ الْأَمِينَ مُحَمَّداً فِي قَوْمِهِ *** عِنْدِي يَفُوقُ مَنَازِلَ الْأَوْلَادِ
لَمَّا تَعَلَّقَ بِالزَّمَامِ ضَمَمْتُ *** وَالْعَيْسُ قَدْ قَلَّصَنَ بِالْأَزْوَادِ
فَارْفَضَ مِنْ عَيْنِي دَمْعٌ ذَارِفٌ *** مِثْلُ الْجُمانِ مُفَرَّقٌ بِيَدِ
رَاعِيَتْ فِيهِ قَرَابَةً مَوْصُولَةً *** وَحَفِظْتُ فِيهِ وَصِيَّةَ الْأَجْدَادِ
وَدَعَوْتُهُ لِلْسَيْرِ بَيْنَ عُمُومَةٍ *** بِيضِ الْوُجُوهِ مَصَالِيَتِ أَمْجَادِ²

أبيات كان ابن هشام على حق حينما حذفها اذ ان نسيجها من الهلهلة والركاكة بحيث نكاد نقطع أنها موضوعة .

¹ ينظر محمود علي المكي . المدائح النبوية . ص 07

² ديوان أبي طالب . شرحه: محمد التونجي . ص . 38

حسان بن ثابت "رضي الله عنه" :

حينما أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينتدب من المسلمين من يرد على شعراء المشركين الذين عمدوا الى هجائه وأصحابه المهاجرين ، غير ان الرسول صلى الله عليه وسلم أراد أن يضطلع شعراء الأنصار بهذه المهمة إذ يؤثر عنهم قوله عليه الصلاة و السلام : " ما يمنع القوم الذين نصرُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلاحهم ان ينصروه بألسنتهم ؟ " فقال حسان بن ثابت رضي الله عنه : " أنا لها"¹ ومن هذه اللحظة أصبح حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم الأول و أبرز المدافعين عن الإسلام ، ومن الملاحظ هو ان شعر حسان بن ثابت الإسلامي انما كان من قبيل المساجلات و النقائض مع شعراء قريش أو في رثاء من ينال الشهادة من الصحابة رضوان الله عليهم في المعارك مع المشركين ولهذا فإن المديح النبوي ليس فيها خالصة و إنما يأتي عرضياً في أثناء تلك القصائد ومن أولى قصائده همزيتها التي هجا فيها أبا سفيان بن الحارث :

عَفَتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجِوَاءُ *** إِلَى عَذْرَاءَ مَنْزِلُهَا خَلَاءُ²

ومما جاء في شعره قصيدة قيلت في الجاهلية وأتمها بمناسبة فتح مكة منها جزء متعلق بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم يقول فيه :

وَقَالَ اللَّهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا *** يَقُولُ الْحَقَّ إِنْ نَفَعَ الْبَلَاءُ
شَهِدْتُ بِهِ وَقَوْمِي صَدَّقُوهُ *** ففَلْتُمْ مَا نُجِيبُ وَمَا نَشَاءُ
وَجِبْرِيلُ أَمِينُ اللَّهِ فِيْنَا *** وَرُوحُ الْقُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ³

على أن أقرب شعر حسان بن ثابت من المدائح النبوية هي مرثيته للرسول صلى الله عليه وسلم منها ما جاء في إحدى مرثياته قوله :

نوراً أضاءَ على البريةِ كُلِّها *** مَنْ يُهدِ لِلنورِ المُبارِكِ يَهتَدِ
يا رَبِّ فَاجْمَعنا مَعاً وَنَبِيَّنا *** في جَنَّةِ تُنبي عِيونِ الحُسَدِ
في جَنَّةِ الفِرْدوسِ وَاكتُبها لَنَا *** يا ذا الجَلالِ وَذا العُلا وَالسُودِ
وَاللَّهِ أَسْمَعُ ما حَبيبُ بِهالِكِ *** إِلا بِكَيْتِ عَلى النَبِيِّ مُحَمَّدِ⁴

¹ ينظر محمود علي المكي . المدائح النبوية ص13

² ديوان حسان بن ثابت الأنصاري.ص 17

³ ديوان حسان بن ثابت الأنصاري.ص 20

⁴ ديوان حسان بن ثابت الأنصاري.ص 65

كعب بن مالك "رضي الله عنه":

أما كعب فقد كان من شهود بيعة العقبة وتخلف عن بدر إلا أنه شهد بعد ذلك أحدا ما بعدها وكان أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن تبوك ، ونزلت فيهم آيات سورة التوبة توفي في خلافة معاوية ، كان شاعرا مجيدا ، ومعظم شعره في مشاهد الرسول صلى الله عليه وسلم وغزواته وفي مناقضاته شعراء قريش ، منها رده على ضرار بن خطاب شاعر قريش الذي هدد المسلمين بعد وقعت بدر وأنذرهم بالانتقام بهزيمتهم.فيها حيث قال كعب :

عجبتُ لأمرِ اللهِ واللهِ قَادِرُ *** على ما أرادَ لَيْسَ اللهُ قَاهِرُ
قَضَى يَوْمَ بَدْرٍ أَنْ نَلْقَى مَعْشَرًا *** بَعَا وَسَبِيلُ الْبَغْيِ بِالنَّاسِ جَائِرُ
وَفِينَا رَسُولُ اللهِ وَالْأَوْسُ حَوْلَهُ *** لَهُ مَعْقَلٌ مِنْهُمْ غَزِيرٌ وَنَاصِرُ
وَجَمْعُ بَنِي النَّجَارِ تَحْتَ لَوَائِهِ *** يُمَشِينُ فِي الْمَادِي وَالنَّفْعُ ثَائِرُ
شَهَدْنَا بِأَنَّ اللهَ لَا رَبَّ كَأَنَّهَا *** وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ بِالْحَقِّ ظَاهِرُ¹

ولكعب قصيدتان مشهورتان في وقعة الخندق وهزيمة الاحزاب وفيها يصور ارتداء المشركين عن المدينة وقد خاب رجاؤهم في مزيج من الحماسة المتقدمة والايمان والاطمنن المشركين الى ارادة الله :

أَبْقَى لَنَا حَدَثَ الْحُرُوبِ بَقِيَةٌ *** مِنْ خَيْرِ نَحْلَةِ رَبِّنَا الْوَهَابِ
وَمَوَاعِظٌ مِنْ رَبِّنَا نَهْدِي بِهَا *** بِلِسَانٍ أَزْهَرَ طَيْبِ الْإِثْوَابِ²

وحيثما هذا البيت تتصاعد فيه سخريته من قريش ، متتبئا لهم بهزيمة ساحقة

زَعَمْتُ سَخِينَةَ أَنْ سَتَغْلِبُ رَبَّنَا *** وَلِيُغْلِبَنَّ مُغَالِبِ الْغَلَابِ³

وهو بيت يذكر ابن هشام أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال عنه : " لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا " ⁴

عبد الله بن رواحة " رضي الله عنه ":

وهو أحد نقباء بيعة العقبة شهدا مع الرسول صلى الله عليه وسلم مغازيه كلها الى أن استشهد في غزوة

مؤته وما حفظ من شعره قليل مقارنة بشعر حسان وكعب أما القطع القليلة التي احتفظت لنا بها

المصادر من شعر ابن رواحة فنحن نرى فيها بالفعل عميق إيمانه ،إلى حد تمنيه الشهادة ، فلما آن

الخروج إلى غزوة مؤتة تقدم الرسول صلى الله عليه وسلم ليودع عبد الله بن رواحة أنشد ابن رواحة

¹ ديوان كعب بن مالك. ص 46

² المرجع نفسه . ص26

³ ديوان كعب بن مالك. ص 28

⁴ محمود علي المكي . المدائح النبوية .ص30

قائلا :

إِنِّي تَفَرَّسْتُ فِيكَ الْخَيْرَ نَافِلَةً *** فِرَاسَةً خَالَفَتْ فِيكَ الَّذِي نَظَرُوا
أَنْتَ النَّبِيُّ وَمَنْ يُحْرَمَ شَفَاعَتَهُ *** يَوْمَ الْحِسَابِ فَقَدْ أَزْرَى بِهِ الْقَدْرُ¹

النابغة الجعدي :

يقول شوقي ضيف : أن النابغة الجعدي كان يفد شعره على اللخمين في الحيرة ولما احدث وفود العرب
تفد على الرسول صلى الله عليه وسلم معلنة اسلامها وفد عليه مع قومه سنة تسعة للهجرة وأنشده
قصيدة يقول فيها :

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدَنَا وَجَدُّوْنَا *** وَإِنَّا لَنَبْغِي فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا²

فقال له الرسول الكريم : " فأين المظهر يا أبا ليلى " فأجابه الجنة وأعجب الرسول صلى الله عليه وسلم
بشعره ومنطقه فقال له : لا يفضض الله فاك وقد اخذ يضيف الى رائعته التي انشدها لرسول صلى الله
عليه وسلم ابياتا كثيرة تصور حياته في الاسلام وابتغاه رضوان الله بجهاده وتقواه جميعا يقول فيها :

أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى *** وَيَتْلُو كِتَابًا كَالْمَجْرَّةِ نَيْرًا
خَلِيلِي قَدْ لَاقَيْتُ مَا لَمْ تُلَاقِيَا *** وَسَيَّرْتُ فِي الْأَحْيَاءِ مَا لَمْ تُسَيِّرَا
تَذَكَّرْتُ وَالذِّكْرَى تَهِيحُ لِذِي الْهَوَى *** وَمِنْ حَاجَةِ الْمَحْزُونِ أَنْ يَتَذَكَّرَا³

كعب بن زهير "رضي الله عنه" :

كعب بن زهير هو ابن زهير بن أبي سلمى من فحول شعراء العصر الجاهلي أتى كعب متتكرا إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم طالبا الأمان ومعلنا إسلامه فاستأمنه الرسول صلى الله عليه وسلم
فحسر كعب عن وجهه وقال : بأبي أنت و أمي يا رسول الله هذا مكان العائذ بك فأمنه رسول الله صلى
الله عليه وسلم و أنشد كعب قصيدته التي اولها :

بَانَتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبُولُ *** مُنِيْمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُجَزَّ مَكْبُولُ
وَمَا سَعَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا *** إِلَّا أَعْنُ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ⁴

ويقول فيها بعد تغزله وذكر شدة خوفه ووجله :

أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي *** وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ

³ ديوان عبد الله بن رواحة . ص 94

² ديوان النابغة الجعدي . تح . واضح الصمد . دار صادر للطباعة والنشر . بيروت . ط 1 . 1998 م . ص 85

³ ديوان النابغة الجعدي . ص 78

⁴ ديوان كعب بن زهير ص 60

مَهْلًا هَدَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةً أَل * * * قُرْآنَ فِيهَا مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلُ

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ * * * مُهْنَدٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ مَسْلُورٌ¹

فلم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم قوله وما كان ليوعده على باطل ، بل تجاوز عنه ووهب له برده
ولقبت القصيدة بالبردة².

الكميت بن زيد الأسدي :

يعتبر من الشعراء الأوائل الذين نجد له عودة إلى المديح النبوي ، فحبه لآل بيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعبر عنه في حرارة و إخلاص ، فيقول فيهم:

طَرِبْتُ وَمَا شَوْقًا إِلَى الْبَيْضِ أَطْرَبُ * * * وَلَا لَعِبًا مِنِّي أَدُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ

وَلَمْ يُلْهِنِي دَارٌ وَلَا رَسْمٌ مَنَزَلٍ * * * وَلَمْ يَتَطَّرِنِي بَنَانٌ مُخَضَّبٌ³

إلى غاية قوله :

بَنِي هَاشِمٍ رَهْطِ النَّبِيِّ فَإِنِّي * * * بِهِمْ وَلَهُمْ أَرْضَى مِرَارًا وَأَغْضَبُ⁴

البوصيري :

لشرف الدين البوصيري قصائد عديدة في المديح النبوي منها ما نظمها قبل توجهه للحج و أهمها
معرضته لبردة كعب بن زهير ومما جاء فيها :

مَحَمَّدٌ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ وَالتَّقْلَيْنِ * * * وَالفَرِيقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمٍ

نَبِيُّنَا الْأَمْرُ النَّاهِي فَلَا أَحَدٌ * * * أَبْرُ فِي قَوْلٍ لَا مِنْهُ وَلَا نَعَمٍ

هُوَ الْحَبِيبُ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ * * * لِكُلِّ هَوْلِ مِنَ الْأَهْوَالِ مُقْتَحَمٍ

دَعَا إِلَى اللَّهِ فَالْمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ * * * مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلِ غَيْرِ مُنْفَصِمٍ⁵

¹ المرجع نفسه ص 62 . 67

² محمود علي المكي . المدائح النبوية . ص 47

³ محمود علي المكي . ص 61

⁴ المرجع نفسه . ص 61

⁵ ديوان البوصيري . تح . محمد سيد الكيلاني ص 192.193.

الفصل الثاني

قصيدة المديح النبوي في العصر الحديث (نماذج مختارة)

- المبحث الأول: مضامين النصوص الشعرية

- المبحث الثاني: الخصائص الفنية

مضامين النصوص الشعرية (نماذج مختارة):

تمهيد: ليس من الغريب أن تظل شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ملهمة للشعراء حتى اليوم، وقد أشرنا إلى الكثرة الغامرة للمدائح النبوية حتى القرن التاسع، وقد ازدادا إقبال الشعراء على المدائح النبوية في العصور التالية طوال العصر العثماني، وهو عصر تراجعت فيه العلوم، واتجه الفكر خلاله إلى الجمود، ونضب معين الابتكار، فأصبح هم الأدباء هو تقليد من سبقهم أو معارضتهم، أو التعليق على آثارهم، ولذلك فقد كثرت خلال هذا العصر وحتى عصر النهضة المعارضات والتشظيرات والتخميسات وما إليها¹.

وبعد العصر الحديث مرحلة ثالثة في ازدهار المدائح النبوية باعتباره عصر التحدي الأكبر، حيث سيطرت القوات الاستعمارية الصليبية على الوطن الإسلامي حقة من الزمن، لذلك تعد المدائح النبوية دافعا قويا في عودة السيرة النبوية كمثل أعلى وقدوة يتبعها السائرون، وتطور الحركة الشعرية في القرن العشرين أصبح المديح النبوية بابا يطرقة الشعراء في مناسبات معينة إلى جانب تطرقهم لمواضيع دينية واجتماعية وسياسية أخرى. إضافة إلى ذلك ساعدت حركة إحياء التراث القديم في بداية النهضة الأدبية الحديثة في ازدهار المدائح النبوية في هذا العصر، وشعراء هذه الحركة هم الكلاسيكيون الذين اتبعوا أسلوب الشعراء القدماء في هذا النظم، مع انهم عالجوا الموضوعات العصرية.

وإذا عدنا إلى الأشعار في المدائح النبوية في هذا العصر نجدها في ثلاث أنماط هي²:

- معارضات شعرية لقصائد مشهورة.
- ملاحم شعرية تتناول حياة النبي صلى الله عليه وسلم في صورة تفصيلية.
- القصائد الإبداعية المطولة.

1. محمود علي مكي. المدائح النبوية. ص 141.

2 عبد الجليل ت. المدائح النبوية في الشعر العربي الحديث: ت ن: 2016/12/14. www.nidaulhind.com

يقول شوقي ضيف متحدثاً عن معارضة أحمد شوقي للبوصيري: "ونبهته العاطفة الدينية التي يصدر عنها في هذه التزكيات إلى موضع ثان، لعله كان أمس رحماً وصلته بالدين، وهو مدح الرسول عليه الصلاة والسلام وقديماً مدحه الشعراء، ولكن البوصيري تفوق عليه في قصيدتيه الهزمية والبردة، فرأى شوقي ان يعارضه وان ينسج على منواله قصيدته الهزمية والميمية..."¹

ويستهل أحمد شوقي قصيدته "نهج البردة" بمقدمة غزلية مقتفياً أثر الشعراء القدامى وعلى عادة

من مدحوا الرسول عليه الصلاة والسلام في حضرته حيث يقول في مطلعها:

رِيمٌ عَلَى الْقَاعِ بَيْنَ الْبَانَ وَالْعَلْمِ * * * أَحَلَّ سَفْكَ دَمِي فِي الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ
رَمَى الْقَضَاءُ بَعِينَ جَوْذراً أَسَدًا * * * يَا سَاكِنَ الْقَاعِ أَدْرِكْ سَاكِنَ الْأَجْمِ²

غير أن بعض النقاد رأى أن هذه المدحة للرسول عليه الصلاة والسلام كانت في غنى عن هذه المقدمة التي بلغت أربعة وعشرين بيتاً، منهم محمود علي مكي الذي يقول: "واعتقد أن هذه المدحة للرسول ﷺ كانت في غنى عن هذه المقدمة التي بلغت أربعة وعشرين بيتاً، منقطعة السبب لما بعدها..."³

ثم ينتقل أحمد شوقي مخاطباً نفسه ومعاتباً لها على ما فرط من ذنوبه مبدياً ندمه وتحسره على ذلك ومستعداً لكبح جماح شهواته والتحكم فيها، حيث يقول:

صَلَّاحُ أَمْرِكَ لِلْأَخْلَاقِ مَرْجِعُهُ * * * فَقَوْمُ النَّفْسِ بِالْأَخْلَاقِ تَسْتَنْقِمُ

وَالنَّفْسُ مِنْ خَيْرِهَا فِي خَيْرِ عَافِيَةٍ * * * وَالنَّفْسُ مِنْ شَرِّهَا فِي مَرْتَعٍ وَخِمٍ⁴

ويصل إلى موضوعه في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم واصفاً إياه بما ذكر من قبل في شعر المديح المتأثر بأفكار الصوفية، حيث يرى الشاعر أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو خير البرية، وهو أفضل الناس، والأنبياء جميعاً ينتسبون إليه، وإن كانوا أسبق وجوداً مادياً منه، حيث يقول:

مَحَمَّدٌ صَفْوَةُ الْبَارِي وَرَحْمَتُهُ * * * وَبُغْيَةُ اللَّهِ مِنْ خَلْقٍ وَمِنْ نَسَمٍ

وَصَاحِبُ الْحَوْضِ يَوْمَ الرَّسْلِ سَائِلَةٌ * * * مَتَى الْوَرُودُ وَجَبْرِيلُ الْأَمِينُ ظَمِي⁵

ولعل ما يميز هذه الأبيات هو طغيان النفحات الصوفية من مبالغات لم يسبق إليها ولم يجراً احد على قولها قبل شوقي، لينتقل شوقي في ذكر معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم كتفجر الماء من بين أصابعه، وتظليل الغمامة له، حيث استلهم هذه المعجزات مستقرناً حادثة الغمامة التي كانت تظله حينما

¹ شوقي صيف. شوقي شاعر العصر الحديث. الهيئة المصرية للكتاب. القاهرة 2010، ص162.

² أحمد شوقي. ديوان نهج البردة. شرح الشيخ سليم البشري. مكتبة الآداب 46 ميدان الأوبرا. القاهرة. ص11.

³ محمود علي مكي. املدائح النبوية. ص146.

⁴ أحمد شوقي. ديوان نهج البردة. ص29.

⁵ المرجع نفسه . ص33.

خرج الرسول صلى الله عليه وسلم مع اخته الشيماء في الظهيرة حيث يرى وكان الغمامة هي التي تستظل به قائلاً:

وظللتُهُ وصارتُ تستظلُّ بهِ *** غمامةٌ جذبتها خيرةُ الديمِ¹

ليصل إلى معجزة القرآن الكريم الخالدة المتواصلة والمتجددة إلى يومنا هذا، فإذا كانت معجزات الأنبياء من قبله قد انقطعت وزالت فإن معجزات القرآن الكريم مستمرة وحية، وأعظم بها معجزة ! حيث يقول:

جاءَ النبيونَ بآياتٍ فانصرفتُ *** وجئتنا بحكيمٍ غيرِ منصرمٍ
آياتنا كلما طال المدى جدُّ *** يزينهنَّ جلالُ العنقِ والقدمِ²

وبعد ذلك راح أحمد شوقي يعدد خصال النبي صلى الله عليه وسلم، وصفاته الخلقية والخلقية، حيث فاق الرسول صلى الله عليه وسلم جميع الخلق في الحسن والعظمة، فيقول:

فاق البدورَ وفاق الأنبياء فكمُ *** بالخلقِ والخلقِ من حسنٍ وعظمِ³

ولم تكن "همزيته النبوية" أقل جمالا من نهج البردة إذ تعدُّ من أهم قصائد المديح النبوي في الشعر الحديث، وإن كان جانب المحاكاة والتقليد باديا فيها تأسيا بالشعراء اقدمي، حيث استهلها الشاعر بقوله: ولد الهدى فالكائنات ضياء *** وفم الزمان ايسم وثناء⁴

حيث عبر الشاعر عن سعادة الدنيا بكل مكوناتها بمولد سيد الخلق صلى الله عليه وسلم، وتفتح ثغرها تبسما وشكرا لله عز وجل على هذه النعمة التي تعتبر نقطة تحول هامة في تاريخ البشرية كاملة، لينتقل الشاعر مشخصا ما يدور في الغيب ليصور البشري التي تلقاها كل من هم حول الرسول صلى الله عليه وسلم من الروح والملا والملائكة، مستبشرين بميلاده في وصف دقيق مجسدا سعادة الدنيا بمولد الهادي البشير حيث يقول:

الروح والملا والملائك حوله *** للدين والجنيا به بشـراءُ
والعرش يزهو والحظيرة تزدهي *** والمنتهى والسدرة العصماء⁵

ليبدي الشاعر تضرعه لله عز وجل راجيا الجزاء الحسن و الثواب العظيم من الله بسبب هذه القصيدة ، فهو لم يقصده مادحا و إنما داعيا يرجو شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيقول :

¹ أحمد شوقي نهج البردة ص45.

² المرجع نفسه، ص50.

³ المرجع نفسه، ص48.

⁴ أحمد شوقي. الأعمال الشعرية الكاملة. مج1، دار العودة. بيروت 1988. ص34.

⁵ المرجع نفسه . ص 34

لي في مديحك يا رسول عرائس *** يتمن فيك وشاقهن جلاء

هن الحسان فإن قبلت تكرما *** فمهورهن شفاعا حسناء¹

و يختم الشاعر همزيتة بالإشارة إلى الحاضر الذي تعيشه الأمة الإسلامية ، المليء بالأزمات فهو في أمس الحاجة إلى استدعاء الماضي المجيد الذي عرفته هذه الأمة بعله يكون علاجاً لحاضرها الأليم حيث يقول :

أدعوك عن قومي الضّعاف لأزمةٍ *** في مثلها يلقي عليك رجاءً

أدرى رسول الله أن نفوسهم *** ركبّت هواها و القلوب هـواءٌ؟²

ولم يكن الشاعر شوقي الوحيد الذي عارض " البوصيري " في برده ، فقد كان لشاعر "السيف والقلم" محمود سامي البارودي قسطاً من هذه المعارضة والتي أسماها "كشف الغمة في مدح سيد الأمة" وهو عنوان يوحى على أصالة الشاعر وتشبثه بتعاليم الدين الإسلامي، حيث نحا هذا العنوان على نحو ما كان يفعله الأولون من العلماء والشعراء العظام، وهي قصيدة مطولة تبلغ نحو أربعمئة وخمسين بيتاً من الشعر، حوال من خلالها الشاعر تخليص الشعر من زخارف البديع اللفظي التي كانت تثقل كاهله في عصر الضعف، يقول محمود علي مكي: "...فالبارودي كان ذواقة للشعر بصيرا بنقده، ومعارضته لبردة البوصيري تدل على اقتناعه بجودة هذه القصيدة، هذا بالإضافة إلى تدينه العميق ولا سيما في سنواته الأخيرة التي قاسى فيها آلام المنفى ..."³

حيث استهل الشاعر قصيدته على عادة القصائد النبوية من خلال ذكره الأماكن الحجازية وإهداء التحية إليها مع الريح والبرق، حيث يقول:

يا رائد البرق يمم دارة العلم *** واحدُ الغمامِ إلى حيّ بدي سلم⁴

ثم تتبع الشاعر حياة ارسول صلى الله عليه وسلم منذ المولد مقتفياً أثر ما جاء في كتب السيرة النبوية، مشيراً إلى عظمة هذا الميلاد، ويقول مشيراً إلى مرضعة الرسول صلى الله عليه وسلم حليلة السعدية: وأرضعته ولم تياس حليلة من *** قول المرضع إن البؤس في اليتيم ففاض بالدر نديها وقد غنيت *** لياليا وهي لم تطعم ولم تتم⁵

¹ أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة. ص 41

² المرجع نفسه . ص 41 .

³ محمود علي مكي. المدائح النبوية. ص 142.

⁴ محمود سامي البارودي. كشف الغمة في مدح سيد الأمة. مصر، مطبعة الجريدة 1367هـ. ص 3.

⁵ المرجع نفسه. ص 7.

ويقول كذلك مخبرا عن الملكين الذين شقا صدر الرسول صلى الله عليه وسلم في طفولته أخرجنا من قلبه العلقة السوداء ليظهرها قلبه من شوائب الهوى:

فبينما هو يرمى البهم طاف به *** شخصان من ملكوت الله ذي العظم

فأضجعا وشقا صدره بيد *** رفيقة لم يبيت منها على ألم

وبعدما قضيا من قلبه وطرا *** توليا غسله بالسلسل الشبم¹

ولم يكن للبارودي أن يحيد عما سبقه المادحون في ذكر معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال وضوح الطابع السردى التاريخي في حديثه عن غزواته صلى الله عليه وسلم، فيتبعها واحدة واحدة ملتزما بترتيبها التاريخي ومن ذلك قوله:

فهذه الغزوات الغر شاملة *** جمع البعوث كدر لاح نظم

نظمتها راجيا نيل الشفاعة من *** خير البرايا ومولى العرب والعجم²

ويختتم البارودي قصيدته معترفا بذنوبه، معبرا عن ندمه ورجائه في المغفرة وشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، قائلا:

يا غافر الذنب والألباب حائرة *** في الحشر والنار ترمي الجو بالضرم

حاشا لفضلك وهو المستعاذ به *** ألا تمنّ على ذي خلوة عدم

إني لمستشفع بالمصطفى وكفى *** به شفيعا لــــدى الأموال والقحم³

وفي جيميته كذلك مدح فيها البارودي الرسول صلى الله عليه وسلم، بالرغم من استهلاله بمقدمة غزلية من خلال مخاطبته محبوبته بأسلوب نداء، مشبها عينوها بالسيف الصارم الذي فتك بالقلوب، إذا يقول:

يا صارم اللحظ من أغواك بالمهج *** حتى فتكت بها ظلما بلا حرج⁴

ثم ينتقل عبر وصف داخلي معبرا عن حبه للرسول صلى الله عليه وسلم، في جو تخيم عليه الروحانية الصوفية المفعمومة بالمعاني الإيمانية تكشف عن شخصية رصينة متميزة بحب النبي صلى الله عليه وسلم، حيث يقول:

¹ محمود سامي البارودي. كشف الغمة في مدح سيد الأمة. ص 8.

² المرجع نفسه. ص 43.

³ المرجع نفسه. ص 48.

⁴ محمود سامي البارودي ديوان البارودي. دار العودة، بيروت، لبنان، 1998. ص 99.

هيهات يسلك لوم العاذلين إلى *** قلب بحب رسول الله ممتزج
هو النبيّ الذي لولا هدايته *** لكان أعلم من في الأرض كالهجم
أنا الذي بت من وجدي بروضته *** أحن شوقا كطير البانة الهزج¹

ويكشف الشاعر في هذه القصيدة عن حزن عميق وهو يحن إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم،
ويختتمها بعد ذلك بالمناجاة وبث شكواه معترفا بذنوبه، داعيا للتعزّل وجلّ أن يغفر له فهو رجاءه وأمله
ورافع الحرج عنه، إذ يقول:

يا رب بالمصطفى هب لي وإن عظمت *** جرائمي رحمة تغني عن الحجج
ولا تكلني إلى نفسي فإن يدي *** مغلولة وصباحي غير منبلج
ما لي سواك وأنت المستعان إذا *** ضاق الزحام غداة الموقف الحرج
لم يبق لي أمل إلا إليك فلا *** تقطع رجائي لقد أشفت من حرجي²

ويتغنّى الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم ضمن أدب شعر
المناسبات، فأنشده قصيدته بمناسبة الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم الذي أقامته جمعية الشبيبة
الإسلامية بنادي الترقى، ونشرت في جريدة البصائر سنة 1937م، إذ يقول فيها:

ألا أنعم أيها النادي *** بذكرى مولد الهادي
لقد جنّناك ورادا *** على آثار ورا
وقمنا في مسرات *** وأفراح وأعياد³

فالشاعر يستهل قصيدته باستفتاح مضمونه التبشير بذكرى ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم ، معبرا
عن فرحه بهذه الذكرى التي هي عيد للمسلمين ، لينتقل إلى إبراز مكانته عليه الصلاة والسلام بين
الخلق ، وخصاله الحميدة التي فاق بها العالمين مرسلا تحيته له قائلا :

نحي خير مولود *** بدا في خير ميلاد
نحي سيذا فالخل *** ق متبوعا بأسياد
نحي مرشدا لم يب *** غ منهم أجر إرشاد⁴

و نظم الشاعر المصري أحمد محرم ديوانا ضخما احتوى على السيرة النبوية أسماه " مجد الإسلام "
حيث تتبع حياة النبي صلى الله عليه وسلم منذ مولده ، وتحدث عن مراحل الدعوة الإسلامية حتي

¹المرجع نفسه.ص.101.

²المرجع نفسه.ص.101.

³محمد العيد آل خليفة.ديوان محمد العيد آل خليفة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر.ص.72.

⁴المرجع نفسه . ص 72

انتصارها الأخير في فتح مكة ، مخلدا أمجاد الإسلام ، و يمكن أن نطلق على هذا الديوان اسم " الإلياذة الإسلامية " مصورا البطولات الإسلامية من خلال استعراض سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فيقول في إحدى قصائد هذا الديوان عنوانها " محمد رسول الله " :

هذا إمام الدين في أعلامه *** الدين معتصم ببأس إمامه
يحمي حقيقته بقوة بطشه *** و بصون بيضته بحد حسامه¹
ليصل إلى قوله :

الله أرسله طبيباً شافياً *** للعالم الوحشي من أسقامه
الأمر بان فأين نلتمس الهدى *** من ظل بين حلاله وحرامه²

فالشاعر يصور الرسول صلى الله عليه وسلم على أنه هو الطبيب الشافي للأسقام التي تعاني منها البشرية في صورة موحية ، معبرا عن تاجر الشاعر بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم .
ولم يقتصر المديح النبوي في الشعر الحديث على القصيدة التقليدية و المعارضات ، بل نجده كذلك في الشعر الحر ، و نازك الملائكة التي كان لها الفضل في ظهور هذا النوع من الشعر ، فهي كذلك لم تخل دواوينها من قصيدة المديح النبوي ومن ذلك قصيدتها " زنايق صوفية للرسول " التي نشرتها في ديوانها " يغير ألوانه البحر " حيث تقول :

و ما اسمك الحلو ؟

قال : أحمد

و امتلاً الجو من أريج الإسراء

طعمُ القرآنِ

و امتدّ فوقَ إغماءِ البحرِ ضوءٌ

وقلتُ في لهفةٍ أتوسلُ : أحمدُ ، أحمدُ !³

فالشاعرة تتطلق انطلاقاً حاملة تعبر عن هيامها بحب الرسول صلى الله عليه وسلم ، و كأنها تتأرجح بين حب البحر و الحياة في بداية قصيدتها ، ليحتل معنى آخر ، لتطلق العنان لنفسها الجريحة متسائلة عن مصدر كل هذا الحب الوجداني الذي نخر جسمها وجعلها كأنها تتعايش مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، لتبني جسراً حوارياً غير تاريخي لتخرج منه صورة الحاضر . فتعود بعد هذا السؤال

¹ أحمد محرم . ديوان مجد الإسلام . مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة . جمهورية مصر العربية ص 113

² أحمد محرم . ديوان مجد الإسلام . ص 114

³ نازك الملائكة . ديوان يغير ألوانه البحر . الهيئة العامة لقصور الثقافة . القاهرة . 1998 . ص 78

لتجيب نفسها عن السر الإلهي الذي جعلها تشعر بهذا الحب موظفة التكرار الذي يدل على التعلق الشديد بالمدوح ، تعلقا جعلها تكرر اسمه خلال أطوار هذه القصيدة .
أخيرا يمكن القول أن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وحياته تعد نبعا دائما العطاء و التدفق ، كانت ولا تزال

المبحث الأول : مضامين النصوص الشعرية

مضامين النصوص الشعرية :

إن قصيدة المديح النبوي في الشعر العربي الحديث لم تخرج في بنائها عن نطاق ناء القصيدة العربية المعروفة ، فالشاعر تجده يمهّد في قصيدته بمقدمة قد تكون طليّة أو غزليّة ن ثم يعرض مضمونها خاتماً إياها برجاء أو اعتراف أو مناجاة .

غير أن الموضوع الأساسي الذي قيلت فيه قصيدة المديح النبوي هو مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، لكن مضامينها تنوعت فهناك من تناول خصاله الخلقية و الخلقية ، و آخرون تناولوا فضائله وخصاله ، وغيرهم انبرى في الحديث عن مكانته عليه الصلاة والسلام ، وبعضهم حرص على إظهار أثره في البشرية ، وهناك من تكلم عن معجزاته ، بينما نظم آخرون قصائد معبرين عن شوقهم لزيارة مقامه الكريم ، وهذه بعض المضامين التي تطرق إليها المادحون في الشعر العربي الحديث :

أ- خصاله الخلقية و الخلقية :

لعل أهم المواضيع التي تناولها الشعراء المادحون للنبي صلى الله عليه وسلم عبر مختلف العصور هو موضوع الصفات الخلقية و الخلقية كيف لا ؟ وهو الذي جمع بين الحسن والبهاء و الدماثة والحياء فقد قال فيه تعالى : ﴿ وَأَنْتَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ - سورة القلم الآية 4

فأحمد شوقي جمع في همزته النبوية خصال النبي صلى الله عليه وسلم كخلق الحياء و الأمانة و الصدق و أنه اشتمل عليها عليه الصلاة و السلام منذ أن كان صبياً ن حيث يقول :

في المهد يستسقى الحيا برجائه *** وبقصده تستدفع البأساء

بسوى الأمانة في الصبا والصدق لم *** يعرفه أهل الصدق والأمناء

يا من له الأخلاق ما تهوى العلا *** منها وما يتعشق الكبراء¹

والبارودي كذلك لم يحد عن هذا المنوال، حيث وقف على صفات الرسول صلى الله عليه وسلم حتى قبل البعثة، وإن أعداءه كانوا يعترفون بنبل أخلاقه، فهم من لقبوه بالصادق الأمين، وهو ما جعل زوجه خديجة بنت خويلد تستأمنه على تجارتها وتطلبه للزواج بعد ذلك، حيث يقول في "كشف الغمة":

ولقبته قريش بالأمين على *** صدق الأمانة والإيفاء بالذمم

ودت خديجة أن يرعى تجارتها *** وداد منتهز للخير مغتتم²

¹ أحمد شوقي. الأعمال الشعرية الكاملة. ص35.

² محمود سامي البارودي. "كشف الغمة". ص9.

وهذا الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة في قصيدته المولد النبوي يشير إلى عظم خصال النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه معصوم عن الأخطاء، جمع بين الكرم والسماحة، كثير الطاعات والعبادة قائلاً:

كريم طبعه سمح*** كمثل الغصن مياد
من الآثام معصوم*** إلى الطاعات منقاد¹

ومن صفاته الخَلقية ما تناقله الشعراء المحدثون من السير تباعاً بدءاً من الصحابة الذين عايشوا الرسول صلى الله عليه وسلم، من ذلك ما جاء في همزية أحمد شوقي التي قول فيها: وبدًا مُحَيَّاك الَّذِي قَسَمَاتُهُ*** حَقٌّ وَعُرَّتُهُ هَدَى وَحَيَاءُ
وَعَلِيهِ مِنْ نُورِ النُّبُوَّةِ رَوْنَقٌ*** وَمِنْ الْخَلِيلِ وَهْدِيهِ سِيْمَاءُ²
الشاعر يصور الرسول صلى الله عليه وسلم أنه مخلوق من نور، وان الحق تعالى أبدع في خلقه.
ب- معجزاته:

1- حادثة شق الصدر: من بين الشعراء الذين لفتت انتباههم في العصر الحديث البارودي حيث يقول:
فبينما هو يرمى البهْمَ طافَ به*** شخصانِ من ملكوتِ اللهِ ذي العظمِ
فأضجعاهُ وشقًّا صدره بيدٍ*** رفيقةٍ لم يبتَ منها على ألمٍ³
2- حادثة الإسراء والمعراج:

حيث نالت هذه المعجزة حظاً وافراً من الاهتمام في شعر المديح النبوي الحديث، لما لها من آثار عقائدية في النفس، ودلالة واضحة على نبوته صلى الله عليه وسلم، كما ذكر ذلك شوقي في "نهج البردة"، إذ يقول:

أَسْرَى بِكَ اللهُ لَيْلًا إِذْ مَلَائِكَةٌ*** وَالرَّسُلُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى عَلَى قَدَمِ
لَمَّا خَطَرَتْ بِهِ التَّفَوُّا بِسَيِّدِهِمْ*** كَالشُّهْبِ بِالْبَدْرِ أَوْ كَالْجُنْدِ بِالْعِلْمِ⁴

فأحمد شوقي صور هذه الرحلة العظيمة وكأن الملائكة والرسل ينتظرون زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم للمسجد الأقصى، مشبها إياهم بالشهب والكواكب، والنبي صلى الله عليه وسلم بدر يلتفون حوله، وقد تناول هذه الليلة البارودي في "كشف الغمة" واصفاً بالليلة المباركة، إذ يقول:

وحبذا ليلَةُ الإسراءِ حين سرى*** لَيْلًا إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى بِلَا أْتَم

¹ محمد العيد آل خليفة. ديون محمد العيد آل خليفة. ص73.

² أحمد شوقي. الأعمال الكاملة. ص35.

³ محمود سامي البارودي. كشف الغمة. ص8.

⁴ أحمد شوقي. نهج البردة. ص4.

رأى به من كرام الرسل طائفة***فأمهم ثم صلى خاشعاً بهم
بل حبذا نهضة المعراج حين سما***به إلى مشهد في العز لم يرم¹

3- معجزة القرآن الكريم:

ومن المعاني الروحية التي لاقت إعجاباً من قبل الشعراء هي معجزة القرآن الكريم، وهو الوحي الذي أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو معجزة باقية، فقد حفظها الله عز وجل من الزوال والنسيان، فهو كلام الله المنزه عن الخطأ، المحكم تنزيهه، المعجز بآياته، وفي ذلك يقول احمد شوقي:

جاءَ النَّبِيُّونَ بِالآيَاتِ فَانصَرَمَتْ***وجئنا بحكيم غير مُنصَرَم

آيَاتُهُ كُلَّمَا طَالَ المَدَى جَدُّدٌ***يزيئهنَّ جلالُ العتقِ والقِدَم²

فأحمد شوقي يرى ان كل الكتب السماوية قبل القرآن زالت، وانصرفت إلا القرآن الكريم فقد فقد حفظه الله من الزوال، كما أشار إلى الإعجاز القرآني، وأن آياته صالحة لكل زمان ومكان.

4- غزواته صلى الله عليه وسلم:

ومن المضامين التي تناولها الشعراء في العصر الحديث ذكر غزواته صلى الله عليه وسلم في قصائد المديح، حيث أخذت بعدا آخر يدل على شجاعته صلى الله عليه وسلم مع صحبه رضوان الله عليهم جميعا، وهم يواجهون ملة الكفر في خوضهم للغزوات والمعارك مع رسول الله صلى الله عليه، وقد ذكرت في كتب السيرة، فتغنى بها الشعراء قديما وحديثا، لا سيما في الشعر الحديث، ومن نماذج ذلك نحو قول البارودي:

هذا وقد فرضَ اللهُ الجهادَ على***رسوله ليبثَ الدينَ في الأمم

فكان أول غزو سار فيه إلى***ودان ثم أتى من غيرِ مصطدم³

فيؤكد الشاعر في البيتين أن الغزو هو تطبيق لفريضة الجهاد، وقد بدأ بعد أن أمر الله تعالى به نبيه في القرآن الكريم، وجعله فريضة على المسلمين، لنشر الإسلام وتبليغ رسالة التوحيد. ويقول -أيضا- مفتخرا بغزوة بدر، وبتطولات الصحابة رضوان الله عليهم وإنجازاتهم وقد أبلوا البلاء الحسن في سبيل الله أثناءها، معتزاً بنصر الله لهم فيها:

وَيَمَّمِ المُصْطَفَى بَدْرًا فَلاحَ لَهُ***بَدْرٌ مِنَ النَّصْرِ جَلَّى ظُلْمَةَ الوَحْم

يَوْمَ تَبَسَّمَ فِيهِ الدِّينُ وَإِنْهَمَلَتْ***عَلَى الضَّلَالِ عِيُونَ الشُّرْكِ بِالسَّجَمِ

أَبْلَى عَلَيَّ بِهِ خَيْرَ البَلَاءِ بِمَا***حَبَاهُ ذُو العَرْشِ مِنْ بَأْسٍ وَمِنْ هِمَمِ

¹ محمود سامي البارودي. كشف الغمة. ص17.

² أحمد شوقي. نهج البردة. ص4.

³ ينظر: محمود سامي البارودي. كشف الغمة. ص25.

وَجَالَ حَمْرَةً بِالصَّمَامِ يَكْسُوهُمْ *** كَسَاءً يُفَرِّقُ مِنْهُمْ كُلَّ مُزْدَحَمٍ¹

5- الشكوى لاستنجد بالرسول صلى الله عليه وسلم:

يعد الرسول صلى الله عليه وسلم ملاذا يلوذ إليه المسلمون وملجأ يلجؤون إليه طمعا في شفاعته بإذن الله، ويعتقدون أن كل عمل صالح هو بمثابة طلب للشفاعة يوم لا منجى ولا ملجأ من الله إلا الله، فكان من الطبيعي أن يختم أغلب الشعراء الذي نظموا في هذا الباب قصائدهم ببيت شكواهم إلى الله، معترفين بذنوبهم راجعين إليه سبحانه وتعالى، متقربين إليه بمدح نبيه وأشرف خلقه محمد صلى الله عليه وسلم، راجين نوال المغفرة وحسن الثواب منه سبحانه وتعالى، وفي ذلك يقول البارودي:

إِنِّي لَمُسْتَشْفِعٌ بِالمُصْطَفَى وَكَفَى *** بِهِ شَفِيعاً لَدَى الأَهْوَالِ وَالْقَحَمِ

فَأَقْبَلَ رَجَائِي فَمَالِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ *** سِوَاكَ فِي كُلِّ مَا أَخْشَاهُ مِنْ فَقَمٍ²

ويقول في جيميته في مدحه صلى الله عليه وسلم متوسلا إلى الله، راجعا إليه إليه، تائبا من ذنوبه:

يَا رَبِّ بِالمُصْطَفَى هَبْ لِي وَإِنْ عَظُمَتْ *** جَرَائِمِي رَحْمَةً تُغْنِي عَنِ الحُجَجِ

وَلَا تَكْلِنِي إِلَى نَفْسِي فَإِنَّ يَدِي *** مَعْلُولَةٌ وَصَبَاحِي غَيْرُ مُنْبَلِجٍ³

أما أحمد شوقي فنجده يقف راجيا الله مستجدا به في مدحه للرسول صلى الله عليه وسلم

طالبا منه إصلاح حال الأمة، واللفظ بعباده وأن يتم عليه من فضله، فيقول:

رَأَى قِضَاؤَكَ فِيمَا رَأَى حِكْمَتَهُ *** أَكْرِمَ بوجْهِكَ مِنْ قَاضٍ وَمُنْتَقِمِ

فَالطُّفُ لَأَجْلِ رَسولِ العَالَمِينَ بِنَا *** وَلَا تَرُدُّ قَوْمَهُ خَسْفًا، وَلَا تُسَمِّ

يَا رَبِّ أَحْسَنْتَ بَدَأَ المُسْلِمِينَ بِهِ *** فَتَمِّمِ الفَضْلَ وَامْنَحْ حَسَنَ مَخْتَمِ⁴

¹ محمود سامي البارودي. كشف الغمة. ص 27.

² المصدر نفسه. ص 48.

³ ينظر: محمود سامي البارودي. ديوان محمود سامي البارودي. ص 70.

⁴ أحمد شوقي. نهج البردة. ص 8.

المبحث الثاني
الخصائص الفنية لقصيدة المديح
في
الشعر الحديث

1- البنية الإيقاعية:

أ- الوزن:

لم تنشذ اغلب قصائد المديح النبوي في العصر الحديث عن الشكل التقليدي للقصيدة القديمة المبنية على النظام الشطري (صدر وعجز)، والذي يعتمد على وحدة الوزن كأحد أهم أركان الشعر كما قال ابن رشيق القيرواني: "الوزن أعظم أركان حد الشعر وأولاها به خصوصية¹..." ، حيث طغت على هذه القصائد صبغة التقليد ، إما بسبب معارضة بعضهم لقصائد القدماء ككعب بن زهير و حسان بن ثابت و البوصيري و تأثرهم بأساليبهم و استلهاهم معانيهم و الاستعانة بها في بناء قصائدهم ، فجاءت قصائدهم طبق الأصل لقصائد القدماء ، ومن أهم هذه الجوانب هو تقليدهم في الأوزان ، حيث لم يتوان الشعراء في اعتماد البحور الخليلية المعروفة التي كثر استعمالها في الشعر القديم على غرار البسيط والطويل و الكامل و الوافر و الخفيف .

فأحمد شوقي سلك الطريق نفسه الذي سلكه البوصيري في اختيار بحر البسيط الذي اعتمده في برده ، فجاءت نهج البردة على البحر نفسه من باب المعارضة الشعرية و التي مطلعها :

رِيمٌ عَلَى الْقَاعِ بَيْنَ الْبَانِ وَالْعَلَمِ *** أَحَلَّ سَفَكَ دَمِي فِي الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ²

و الأمر نفسه حدث في قصيدة البارودي في " كشف الغمة " حيث تبدو مسحة التقليد بارزة في القصيدة ، فالشاعر كذلك اعتمد على بحر البسيط فيها ، والتي مطلعها :

يَا رَائِدَ الْبَرْقِ يَمَمِ دَاوَةَ الْعَلَمِ *** وَاحِدُ الْغَمَامِ إِلَى حَيِّ بِيْذِي سَلَمِ³

واعتمد عليه البارودي في قصيدته الجيمية التي مطلعها :

يَا صَارِمَ اللَّحْظِ مَنْ أَعْرَاكَ بِالْمُهْجِ *** حَتَّى فَتَنَّتْ بِهَا ظُلْمًا بِلا حَرَجِ⁴

أما "الهزمية النبوية" لأحمد شوقي فقد اختار لها بحر الكامل و التي مطلعها :

¹ ابن رشيق القيرواني. العمدة. ص78.

² أحمد شوقي . نهج البردة . ص 80

³ محمود سامي البارودي . كشف الغمة . ص 03

⁴ محمودي سامي البارودي .ديوان محمود سامي البارودي ص 69

وُلِدَ الْهُدَى فَالْكَائِنَاتُ ضِيَاءٌ *** وَقَمَّ الزَّمَانُ تَبَسُّمٌ وَتَنَاءٌ¹

وكذلك فعل أحمد محرم حينما نظم قصيدته " محمد رسول الله " على بحر الكامل ومطلعها:

هذا إمام الدين في أعلامه *** والدين مُعْتَصِمٌ بِبَأْسِ إِمَامِهِ²

في حين اختار محمد العيد آل خليفة بحر الهزج في قصيدته " ذكرى المولد النبوي "

ألا أنعم أيها النادي *** بذكرى مولد الهادي³

ب- القافية :

يقول ابن رشيق القيرواني : " القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ، و لا يسمى شعرا حتى يكون له وزن وقافية ...⁴ فالقافية شأنها شأن الوزن الواحد ، وعلى أن يعتمدها خلال القصيدة ، و أي إخلال في تتبعها يعد ذلك عيبا في القصيدة ومن أشهر القوافي التي اعتمدها الشعراء المادحون للرسول صلى الله عليه وسلم ، التي رويها الميم ، السين ، اللام ، الهمزة ، الجيم . واختاروا لها القوافي المطلقة . لأن إطلاق الصوت في القافية يساعد على إظهار ما يختلج في نفوسهم من شوق ومحبة وحنين للرسول صلى الله عليه وسلم ، ولعل أشهر القوافي التي ذاع صيتها في المدائح النبوية من المعارضات هي القافية التي رويها حرف الميم ، وهي قافية مطلقة بدءًا ببردة البوصيري ووصولًا إلى نهج البردة لأحمد شوقي . وكذلك فعل البارودي في " كشف الغمة " .

وممن تأثروا ببردة البوصيري العلامة اللغوي المصري الشيخ أحمد الحماوي الذي نظم قصيدة سماها "منهاج البردة " و هو في طريقه إلى الحج ، يقول في مطلعها :

ياغافر الذنب من جود ومن كرم *** وقابل التوب من جان ومُجْتَرِم⁵

02- الصورة الشعرية :

عني القدماء بالصورة الشعرية ، وحفلوا بها ، وبنوا لها صرحا كبيرا في قصائدهم ، فهي جزء لا يتجزأ من البناء الفني للقصيدة العربية ، وقد أثارت قضية الصورة الشعرية اهتمام النقاد العرب فعالجوها انطلاقا من تصوراتهم للشعر ومعايير جودته ، حيث أبانت الصورة الشعرية على تمكن الشعراء وبراعتهم في التصوير ، وهو ما يدل على اتساع دائرة خيالهم و للخيال الشعري أهمية بالغة في التأثير على

¹أحمد شوقي . الأعمال الشعرية الكاملة . ص 34

²أحمد محرم . مجد الإسلام ص 113

³محمد العيد آل خليفة . ديوان محمد العيد آل خليفة . ص 72

⁴ابن رشيق القيرواني . العمدة . ص 88

⁵زكي مبارك . المدائح النبوية . ص 168

المتلقي كما يقول جابر عصفور : " الخيال الشعري بهذا الاعتبار نشاط خلاق لا يستهدف أن يكون مايشكله من صور نسخا أو نقلا لعالم الواقع ومعطياته أو انعكاسا حرفيا لأنسقة متعارفا عليها أو نوعا من أنواع الفرار أو التطهير الساذج للانفعالات ، بقدر ما يستهدف أن يدفع المتلقي إلى إعادة التأمل في واقعه من خلال رؤية شعرية لا تستمد قيمتها من مجرد الجدة و الطرافة ، و إنما قدرتها على إثراء الحساسية و تعميق الوعي ... " ¹

فالصورة الشعرية مرتبطة بالخيال، فهي بذلك وليدة خيال الشاعر، وأفكاره. وانطلاقا من هذا المبدأ سنورد بعض ما جاء من تصوير فني في قصيدة المديح النبوي في الشعر الحديث:
أ- التشبيه:

يعرف ابن رشيق القيرواني التشبيه بقوله: " التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله، ومن جهة واحدة، او من جهات كثيرة، لا من جميع جهاته" ² وعليه فالتشبيه هو نوع من أنواع المقاربة، يقوم على طرفين هما: المشبه والمشبه به، وغايته تقريب الصورة إلى ذهن المتلقي، إثارته نفسيا ووجدانيا، ومن التشبيهات ما يثير العاطفة، ويجعلنا نتقاسم إحساس الشاعر، ولا سيما إذا كانت الغاية من هذا التشبيه هي نقل صورة التي يرسمها الشاعر عن الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المتلقي أو القارئ.

ومن أمثلة التشبيه في القصيدة النبوية ما جاء في "كشف الغمة في مدح سيد الامة" للبارودي يصور فيها كمال خلقه صلى الله عليه وسلم:

وَجَاءَ كَالْغُصْنِ مَجْدُولًا تَرَفُّ عَلَى *** جَبِينِهِ لَمَحَاتُ الْمَجْدِ وَالْفَهَمِ ³

وهو تشبيه مجمل حيث شبه الرسول صلى الله عليه وسلم بالغصن المحكم الخلق، تتلألاً وتظهر لمحات المروءة والمعرفة على محياه، أما التشبيه التمثيلي فنجده عند أحمد شوقي في "تهج البردة"، في قوله:

كَأَنَّ وَجْهَكَ تَحْتَ النَّعَمِ بَدْرٌ دُجِيٌّ *** يُضِيءُ مُلْتَمًا أَوْ غَيْرَ مُلْتَمٍ ⁴

فالشاعر صور وجه النبي صلى الله عليه وسلم من خلال التشبيه التمثيلي وهو ملتف تحت الغبار كصورة البدر في الليلة الظلماء يضيء سواء أكان متواريا وراء السحب أو غير متواري. ونجده كذلك في قول محمد العيد آل خليفة:

¹ جابر عصفور. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب. المركز الثقافي العربي - بيروت، لبنان. ط3. ص14.

² ينظر: ابن رشيق القيرواني. العمدة في محاسن الشعر وآدابه. ص174.

³ محمود سامي البارودي. كشف الغمة. ص7.

⁴ أحمد شوقي. "تهج البردة". ص5.

وَرُحْنَا مِنْهُ فِي ذِكْرِ *** وَتَطْرِبِ وَإِنْشَادِ

كسرب من كرام الطّ *** رِ فَوْقَ الدَّوْحِ غَرَادٍ¹

ومن صور التشبيه البليغ ما ورد في "الهزمية النبوية" لأحمد شوقي، قوله:

أَمَّا الْجَمَالُ فَأَنْتَ شَمْسُ سَمَائِهِ *** وَمَلَا حَةَ الصِّدِّيقِ مِنْكَ أَيَاءُ²

فقد شبه الشاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشمس التي تضيء من الجمال في تصوير بارع لتأثر الشاعر بشخصية النبي صلى الله عليه وسلم .

ب- الاستعارة :

يقول جابر عصفور : " إن التعبير الاستعاري يقوم على درجة من درجات التقمص الوجداني تمتد فيه مشاعر الشاعر إلى كائنات الحياة من حوله ..."³

فالاستعارة من أجمل أساليب المجاز و أروعها و في ذلك يقول ابن رشيق القيرواني : " الاستعارة

أفضل المجاز و أول أبواب البديع وليس في حلي الشعر أعجب منها ..."⁴

وذلك لإثارها ذهن المتلقي ، حيث ترتقي بالتشبيه إلى ذات المشبه به أو المشبه فتجعله يسبح في

الخيال كما أنها تجعلنا تغض الطرف عن حقيقة التشبيه . فنالت حظا كبيرا من الاهتمام في قصائد

المديح النبوي في العصر الحديث ، ولعل مطلع الهزمية النبوية تضمن توظيفا للنوعين فيقول في هذا

الصدد :

وُلِدَ الْهُدَى فَالْكَائِنَاتُ ضِيَاءُ *** وَفَمَ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَثَنَاءُ⁵

ف نجد الشاعر اعتمد الاستعارة التصريحية في صدر البيت مشبها الرسول صلى الله عليه وسلم بالهدى

فصرح بالمشبه به الهدى ، وانتهى إلى توظيف الاستعارة المكنية في عجز البيت من خلال تشبيهه

للزمان بالإنسان ، فجعل له فما وحذف المشبه به الإنسان وترك لازما من لوازمه " فم " على سبيل

الاستعارة المكنية .

¹ محمد العيد آل خليفة. ديوان محمد العيد آل خليفة. ص73.

² أحمد شوقي. الأعمال الشعرية الكاملة. ص35

³ جابر عصفور . الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب . ص 204

⁴ ابن رشيق القيرواني . العمدة . ص 162.

⁵ أحمد شوقي . الأعمال الشعرية الكاملة . ص34

و لا تكاد الاستعارة تغادر قصائد محمود سامي البارودي ، حيث استهل بها قصيدته
" كشف الغمة " قائلاً :

يا رَائِدَ الْبَرْقِ يَمِّمُ دَارَةَ الْعَلَمِ *** وَاحِدُ الْعَمَامِ إِلَى حَيِّ بَدِي سَلَمٍ¹

فقد شبه الشاعر الرسول عليه الصلاة والسلام برائد البرق وهي الريح التي تتقدم الغيث فحذف المشبه
الرسول صلى الله عليه وسلم وصرح بالمشبه به رائد البرق على سبيل الاستعارة التصريحية .

ج- الكناية :

ويعرفها يوسف بن أبي بكر بن محمد علي السكاكي : " الكناية هي ترك التصريح بالشيء إلى ذكر ما
يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك .. " ² ، لذلك تعتبر الكناية من الأساليب البيانية التي عنيت
باهتمام الشعراء على مر العصور ، وكغيرها من الصور الفنية كان للكناية الرصيد الكبير في قصائد
المادحين . ومن أمثلة ذلك قول الشاعر محمد العيد آل خليفة في تعظيمه للرسول عليه الصلاة والسلام
:

سَمَا ذَكَرًا أَبُوهُ عَدُ *** دُ أَعْرَابٍ وَأَكْرَادٍ³

وهي كناية واضحة على شهرة ومكانة نسب النبي صلى الله عليه وسلم الذي شاعت شهرته الأعراب و
الأكراد ن ومن الكناية كذلك قول محمود سامي البارودي في ميميته " كشف الغمة " :

لَا يَسَلِّمُ الْقَلْبُ مِنْ غِلٍّ أَلَمَّ بِهِ *** يَنْقَى الْأَدِيمُ وَيَبْقَى مَوْضِعُ الْحَلَمِ⁴

وهي كناية على عدم صفاء القلب من الأحقاد التي تصيبه إلا قلب الرسول صلى الله عليه وسلم فهو
صافي السريرة لا يحمل الأحقاد .

ويشير أحمد شوقي إلى فصاحتة عليه الصلاة والسلام و انه خير من تكلم العربية ، لكنه لم يصرح بها
مباشرة ، بل أتى على ما يدل عليها على سبيل الكناية عن الموصوف ، فالضاد في العرف تشير إلى
اللغة العربية فيقول :

يَا أَفْصَحَ النَّاطِقِينَ الضَّادَ قَاطِبَةً *** حَدِيثُكَ الشَّهْدُ عِنْدَ الذَّائِقِ الْفَهْمِ¹

¹ محمود سامي البارودي . كشف الغمة . ص 03

² يوسف بن أبي بكر بن علي السكاكي . مفتاح العلوم . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ط 1 . 1983 . ص 73

³ محمد العيد آل خليفة . ديوان محمد العيد آل خليفة . ص 73

⁴ محمود سامي البارودي . كشف الغمة . ص 14

03- أساليب البديع :

إن البديع كان سمة واضحة في قصائد عصر الضعف حتي سميت هذه القصائد بالبديعيات ويعرف ابن رشيق القيرواني البديع : " هو إتيان الشاعر بالمعنى المستطرف والذي لم تجر العادة بمثله ، ثم لزمته هذه التسمية حتي قيل له بديع و إن كثر وتكرر...² " والبديع في اللغة قسمان ، منها ما يرجع إلى المعنى و قسم يرجع إلى اللفظ .

أ- البديع المعنوي :

1-الطباق : وهو الجمع بين متضادين، وهو قسمان : طباق إيجاب و طباق سلب ومن أمثلة

الطباق في القصائد النبوية في الشعر الحديث ما ذكره البارودي في " كشف الغمة " :

وَمَنْ أَرَادَ بِهِ الرَّحْمَنُ مَكْرَمَةً*** هَدَاهُ لِلرُّشْدِ فِي دَاجٍ مِّنَ الظُّلْمِ³

فقد جمع الشاعر بين "الرشد" و هو الهدى أو الهداية وما يتعلق بالضلالة وهو "الظلم" ، فالهدى نور والضلالة ظلمات بعضها فوق بعض .

ومن صور الطباق كذلك قول أحمد شوقي في نهج البردة :

كَمْ جَبِيَّةٍ وَذَهَابٍ شُرِّفَتْ بِهِمَا*** بَطْحَاءُ مَكَّةَ فِي الإِصْبَاحِ وَالْعَسَمِ⁴

فجمع بين "الجبية" و هي القдом وبين "الذهاب" ليستسخ صورة من صور الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو ذهابه ومجيئه بين غار حراء ومكة وخلوته في جبل ثور الذي يوجد فيه غار حراء .

و من امثلة طباق السلب ماجاء في نهج البردة قول أحمد شوقي :

كَأَنَّ وَجْهَكَ تَحْتَ النَّعَقِ بَدْرٌ دُجِيٌّ*** يُضِيءُ مُلْتَثِمًا أَوْ غَيْرَ مُلْتَثِمٍ⁵

فالطباق في قوله " ملتثما " و " غير ملتثم " .

02- المقابلة :

¹أحمد شوقي . نهج البردة . ص 04

² ابن رشيق القيرواني . العمدة . ص 160

³ محمود سامي البارودي . كشف الغمة ص 13

⁴أحمد شوقي . نهج البردة ص 03

⁵ أحمد شوقي . نهج البردة . ص 05.

ويعرفها ابن رشيق القيرواني : " بين التقسيم والطباق، وهي تتصرف في أنواع كثيرة، وأصلها ترتيب الكلام على ما يجب؛ فيعطي أول الكلام ما يليق به أولاً، وآخره ما يليق به آخراً، ويأتي في الموافق بما يوافقه، وفي المخالف بما يخالفه" ¹

ومما اشتملت عليه قصائد المديح النبوي من المقابلة ، ما جاء في "نهج البردة " لأحمد شوقي إذ يقول :

طَوْرًا تَمُدُّكَ فِي نُعْمَى وَعَافِيَةٍ *** وَتَارَةً فِي قَرَارِ الْبُؤْسِ وَالْوَصَمِ ²

حيث استعان الشاعر بالمقابلة بين " نعمة " و " عافية " وبين " والبؤس " و " الوصم " وهو التعب ليبين حال الدنيا المتغير الذي لا يدوم على حال واحدة قبل أن يعرج على مدح الرسول صلى الله عليه وسلم .

ب-البديع اللفظي:

02- الجناس :

وهو ما جاء في تعاريف اللغويين : " هو تشابه كلمتين في اللفظ و اختلافهما في المعنى .ومن أمثله ما جاء في " كشف الغمة" للبارودي قائلاً :

وَسَارَ سَعْدٌ إِلَى الْخَرَّارِ يَقْدُمُهُ *** سَعْدٌ وَلَمْ يَلِقَ فِي مَسْرَاهُ مِنْ بَشَمٍ ³

فالجناس بين " سعد " ويقصد به الصحابي الجليل " سعد بن أبي وقاص " قائداً في غزوة تسمى غزوة "الخرار " وبين سعد في عجز البيت والمراد منه النصر والفتح ، فقد اتفقا اللفظان في جميع الوجوه واختلفا في المعنى .

ومن أمثلة الجناس الناقص قوله كذلك :

فَكَفَّ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ بِهِ *** أَدْرَى وَكَمْ نَقَمٍ تَقْتَرُّ عَنْ نَعَمٍ ⁴

الشاهد في البيت " نغم " و " نعم " فقد اتفقا في العدد و الترتيب والهيئة واختلفا في نوع الحرف الثاني " القاف" و " العين " .

¹ ابن رشيق القيرواني . العمدة . ص 215

² أحمد شوقي . نهج البردة . ص 03

³ محمود سامي البارودي . كشف الغمة . ص 26

⁴ المصدر نفسه . ص 23

03- التصريح :

يقول ابن رشيقي القيرواني : " واشتقاق التصريح من مصرعي الباب ولذلك قيل لنصف البيت مصراع ، كأنه باب القصيدة ومدخلها .."¹ و التصريح هو التقاء الحرف الأخير من صدر البيت بالحرف الأخير من عجزه ، و احتل التصريح مكانة كبيرة في قصائد الشعر منذ العصور الأولى للشعر العربي لاسيما في قصائد الجاهليين ، ولذلك نقل شعراء العصر الحديث التصريح في قصائدهم مبدئين تأثرهم بمذهب القدماء ونالت قصيدة المديح النبوي قسطا وفيرا من التصريح في الشعر ولعل مطلع معارضات كل من أحمد شوقي والبارودي لدليل على ذلك كما في " نهج البردة " قول أحمد شوقي :

رِيمٌ عَلَى الْقَاعِ بَيْنَ الْبَانِ وَالْعَلَمِ *** أَحَلَّ سَفَكَ دَمِي فِي الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ²

والشاهد أن الشاعر قفى صدر البيت تقفية عجزه ، فكلمة " العلم " في صدر البيت توافق قافية العجز في كلمة " حرم " .

ومن التصريح ما جاء في قصيدة محمد العيد آل خليفة "ذكرى المولد النبوي":

ألا أنعم أيها النادي *** بذكرى مولد الهادي³

وكذلك ما ورد في "كشف الغمة" للبارودي:

يا رَائِدَ الْبَرَقِ يَمِّمُ دَارَةَ الْعَلَمِ *** وَاحِدُ الْعَمَامِ إِلَى حَيِّ بِنِي سَلَمِ⁴

وجيميته كذلك:

يا صَارِمَ اللَّحْظِ مَنْ أَغْرَاكَ بِالْمُهَجِ *** حَتَّى فَتَكَّتْ بِهَا ظُلْمًا بِلَا حَرَجِ⁵

4- اللغة الشعرية:

إن اللغة هي الوعاء الذي يصب فيه الأديب نصه بوصفها أداة للتعبير عما يريد في نصه الأدبي سواء

أكان شعرا أم نثرا، واللغة الشعرية أو كما أطلق عليها شوقي ضيف مصطلح الصياغة الشعرية حيث

يقول: " الصياغة في الشعر هي الجسم الذي يعبر عن كلما تجسد فيه من روح ومعان وأفكار، ومنذ وجد

¹ ابن رشيقي القيرواني . العمدة . ص102

² أحمد شوقي . نهج البردة . ص 02

³ محمد العيد آل خليفة. ديوان محمد العيد آل خليفة. ص72.

⁴ محمود سامي البارودي. كشف الغمة. ص3.

⁵ محمود سامي البارودي. ديوان محمود سامي البارودي. ص79.

الشاعر الأول والشعراء يسعون إلى أداء ما انطبع في نفوسهم وقلوبهم من إحساسات ومشاعر إزاء الكون والطبيعة والحياة الإنسانية¹

والأديب يهتم باللغة في نصه الأدبي ويعيد تشكيلها بصورة جمالية، وقصيدة المديح النبوي جسدت هذا المفهوم، فقد حرص شعراء المديح على اختيار لغة تناسب مقام الممدوح، وعلى الرغم من أن العصر تغير ولكل عصر لغته فلغة عصرنا تختلف بكل تأكيد على لغة العصور السابقة أو كما قال عزالدين اسماعيل: "ولغة عصرنا تختلف بكل تأكيد عن لغتنا في أي عصر مضى.."² ومن هذا المنطلق حاول شعراء المديح في العصر الحديث أن يمزجوا بين الأصالة والمعاصرة وإن ظهرت ملامح التقليد على طابع اللغة الشعرية.

أ- الألفاظ:

حافظ شعراء المديح على قالب القديم الذي تميزت به القصيدة النبوية من حيث اللفظ، فاستعانوا كثيرا بالقاموس العربي القديم، وانتقوا منه ما يناسب مكانة الممدوح غير أنهم حاولوا بين الفينة والأخرى أن يمزجوها بألفاظ تناسب روح العصر، وكان لبارودي وشوقي السبق في السير نحو هذا الطريق بما انهما سلكا سبيل المعارضات الشعرية لكبار شعراء المديح كالبوصيري وحسان بن ثابت وكعب بن زهير، ولعل أهم الألفاظ التي طغت في قصيدة المديح نجد:

1- ألفاظ النور:

ذلك لمناسبتها شخص النبي صلى الله عليه وسلم، فهو النور الذي اخرج به اله عز وجل البشرية من الظلمات من النور، لذلك وردت لفظة النور في أماكن عدة في قصيدة "كشف الغمة" للبارودي تأكيدا منه على فضله عليه الصلاة والسلام في هداية الناس حيث يقول:

نُورٌ تَنْقَلُ فِي الْأَكْوَانِ سَاطِعُهُ* * * تَنْقَلُ الْبَدْرُ مِنْ صُلْبِ إِلَى رَجْمٍ³

ويصور أحمد شوقي وكان نور النبوة قد ارتسم على محيا الرسول صلى الله عليه سلم كما جاء في "الهمزية":

¹ شوقي ضيف. في النقد الأدبي. دار المعارف 1119، القاهرة، مصر، ط9. ص110.

² عزالدين اسماعيل. الشعر العربي المعاصر - قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية - دار الفكر العربي، ط3. ص10.

³ محمود سامي. كشف الغمة. ص6.

وَبَدَا مُحَيَّاكَ الَّذِي قَسَمَاتُهُ *** حَقٌّ وَعُرْتُهُ هُدًى وَحَيَاءٌ

وَعَلَيْهِ مِنْ نَوْرِ النُّبُوَّةِ رَوْنَقٌ *** وَمِنْ الْخَلِيلِ وَهَدِيهِ سِيْمَاءٌ¹

وفي نهج البردة يشبه أحمد شوقي الشريعة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم بالنور الذي ينير

سبيل العالمين، فأنارت على الناس جميعا في الماضي والمستقبل، قائلا:

نورُ السبيلِ يُسَّاسُ الْعَالِمُونَ بِهَا *** تَكَفَّلَتْ بِشَبَابِ الدَّهْرِ وَالْهَرَمِ²

والأمر نفسه عند أحمد محرم الذي شبه الدين الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم بالنور الذي

أخرج الناس من ظلمة الجهل إلى نور الهداية، قائلا:

ويثوبَ جاهلُهُمْ إِلَى دِينِ الْهُدَى *** وَالنُّورِ مِنْ دِينِ الْعَمَى وَظِلَامِهِ³

2- تكرار صفات الرسول صلى الله عليه وسلم:

من خصائص شعر المديح أن الشاعر يهيم بحب الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو ما يجعله يكرر

صفاته عليه الصلاة والسلام متأثرا بسيرته، وذلك للتأكيد عليها أو التذكير بها نحو قول أحمد شوقي في

همزيته:

وَإِذَا عَفَوْتَ فَقَادِرًا وَمُقَدَّرًا *** لَا يَسْتَهِينُ بِعَفْوِكَ الْجُهْلَاءُ

وَإِذَا رَحِمْتَ فَأَنْتَ أُمٌّ أَوْ أَبٌ *** هَذَانِ فِي الدُّنْيَا هُمَا الرَّحْمَاءُ

وَإِذَا غَضِبْتَ فَإِنَّمَا هِيَ غَضَبَةٌ *** فِي الْحَقِّ لَا ضِغْنٌ وَلَا بَغْضَاءُ⁴

4- الأساليب:

الأسلوب هو الطريقة التي يعبر بها كل أديب بالتفكير أو التعبير، والأساليب في الأدب تنتوع من خبرية

وإنشائية، حيث وظفها الشعراء خدمة للتجربة المدحية، ومن الأساليب الإنشائية الطلبية:

أ- النداء:

¹ أحمد شوقي. الأعمال الشعرية الكاملة. ص 35.

² أحمد شوقي. نهج البردة. ص 6.

³ أحمد محرم. مجد الاسلام. ص 113.

⁴ أحمد شوقي. الأعمال الشعرية الكاملة. ص 36.

فالنداء يعتمد كلياً على التخاطب، مؤدياً دوراً في التواصل بين البشر، وقد تكرر النداء في القصائد النبوية من ذلك ما جاء في "نهج البردة" حينما يخاطب أحمد شوقي الرسول عليه الصلاة والسلام واصفاً إياه بأفصح من نطق العربية، وأن حديثه يشبه العسل إذا فهمته، فيقول:

يَا أَفْصَحَ النَّاطِقِينَ الضَّادَ قَاطِبَةً *** حَدِيثُكَ الشَّهْدُ عِنْدَ الذَّائِقِ الْفَهْمِ¹

ويخاطبه كذلك منادياً إياه بقوله:

يَا أَحْمَدَ الْخَيْرِ لِي جَاءَ بِتَسْمِيَّتِي *** وَكَيْفَ لَا يَتَّسَمَى بِالرَّسُولِ سَمِي².

ب- الاستفهام:

وهو من الأساليب الإنشائية الطلبية الأكثر انفعالا وتأثيراً في النفس، حيث تتنوع الأغراض البلاغية للاستفهام، ويعرف عبد العزيز عتيق الاستفهام: "طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بأداة خاصة"³

وسر جمال الاستفهام البلاغي، أنه يعطي الكلام حيوية ويزيد من الإقناع والتأثير، كما أن فيه إثارة للسامع ظن وجذباً لانتباهه، وإشراكاً له في التفكير ليصل بنفسه إلى الجواب دون أن يملأ عليه. ولذلك استعان به شعراء المديح في إيصال مقتضى الحال.

فأحمد شوقي يسترسل مستفهماً المشركين الذين كذبوا بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد عميت أبصارهم لمعجزات النبي عليه الصلاة والسلام، ثم يتساءل مستهجناً موقفهم قائلاً:

سَلْ عَصَبَةَ الشَّرِكِ حَوْلَ الْغَارِ سَائِمَةً *** لَوْلَا مُطَارَدَةُ الْمُخْتَارِ لَمْ تُسَمَّ

هَلْ أَبْصَرُوا الْأَنْثَرَ الْوَضَاءَ أَمْ سَمِعُوا *** هَمَسَ النَّسَابِيحِ وَالْقُرْآنِ مِنْ أُمِّ

وَهَلْ تَمَثَّلَ نَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ لَهُمْ *** كَالْغَابِ وَالْحَائِمَاتِ وَالزُّغْبُ كَالرُّخْمِ⁴

وفي همزيتة النبوية نجده يتساءل مادحا عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم:

أَنْتَ الَّذِي نَظَمَ الْبَرِيَّةَ دِينُهُ *** مَاذَا يَقُولُ وَيُنْظِمُ الشُّعْرَاءُ ؟¹

¹ أحمد شوقي. نهج البردة. ص4.

² المرجع نفسه. ص5.

³ عبد العزيز عتيق. علم المعاني. دار النهضة العربية. بيروت، لبنان، ط1، 1430هـ، 2009م. ص88.

⁴ أحمد شوقي. نهج البردة. ص05.

و يتساءل البارودي مبرزاً فضله صلى الله عليه وسلم و أنه مصدر خير ونماء لمن هم حوله ، و أنه كان سببا في ازدهار تجارة خديجة رضي الله عنها قائلاً :

وَكَيْفَ يَخْسِرُ مَنْ لَوْلَاهُ مَا رِبِحَتْ *** تِجَارَةُ الدِّينِ فِي سَهْلٍ وَفِي عِلْمٍ؟²

وكان للاستفهام حظ وافر في ديوان مجد الإسلام لأحمد محرم ، ففي قصيدته " محمد رسول الله " ، فقد استخدمه في بيان منزلة الرسول صلى الله عليه وسلم الرفيعة ومقامه الكريم قائلاً :

هذا مقام محمد في قومِهِ *** هل لامرئٍ في الدهرٍ مثل مقامِهِ؟³

ج - الأمر:

ويعرفه علماء اللغة انه طلب حصول فعل من المخاطب لم يكن حاصلًا قبل الطلب، والأمر من الصيغ التي كان له حضور كبير في قصيدة المديح، وذلك من خلال استعماله لأغراض عديدة لا على سبيل السلطة والاستعلاء، فمحمد العيد آل خليفة استخدمه لغرض التبليغ قائلاً:

سلوا التاريخ عن طودِ *** تعالى فوق أطوادِ

سلوا التاريخ عن أرضِ *** حماها من يدِ العادي

سلوا عن دولةِ الإسدِ *** لِمَ كم باهتُ بأجنادِ⁴

وفي "نهج البردة" يختم شوقي قصيدته بدعاء يدعو فيه الله عز وجل أن يقضي بالحق وان يلطف بالمسلمين قائلاً:

رَأَى قَضَاؤُكَ فِينَا رَأَى حِكْمَتِهِ *** أَكْرَمَ بِوَجْهِكَ مِنْ قَاضٍ وَمُنْتَقِمٍ

قَالِطُفٍ لِأَجْلِ رَسُولِ الْعَالَمِينَ بِنَا *** وَلَا تَزِدْ قَوْمَهُ حَسْفًا وَلَا نُسِيمَ

يَا رَبِّ أَحْسَنْتَ بَدَأَ الْمُسْلِمِينَ بِهِ *** فَتَمِّمِ الْفَضْلَ وَإِمْنَحْ حُسْنَ مُخْتَمِّمْ⁵

¹ أحمد شوقي الاعمال الشعرية الكاملة ص41

² محمود سامي البارودي . كشف الغمة ص 09.

³ أحمد محرم . مجد الإسلام . ص 114.

⁴ محمد العيد آل خليفة. ديوان محمد العيد آل خليفة. ص74.

⁵ أحمد شوقي. نهج البردة. ص8.

د- النهي:

وهو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء، وقد اعتمده الشعراء في القصيدة النبوية من ذلك ما دل على التحذير، كما ورد في "كشف الغمة" للبارودي، فقد حذر البارودي كل ظالم عارض دعوة الرسلو صلى الله عليه وسلم في قوله:

فَلَا يَنَّمْ ظَالِمٌ مَّا جَنَّتْ يَدُهُ *** عَلَى الْعِبَادِ فَعَيْنُ اللَّهِ لَمْ تَنَّمْ¹

وفي الأخير ما نستخلصه من خلال هذا البحث المتواضع أن قصائد المديح في الشعر الحديث لم تخرج عن دائرة ما تعارف عليه القدماء، إذ سلكوا طريقهم، مقلدين معارضين، متأثرين بمنهجهم في سبك قصيدة المدح، غير أن الغاية في ذلك تعد شريفة، فالهدف منها هو بعث الحركة الأدبية من جديد بعد أن عرفت ركوداً خلال القرون المتأخرة، وخاصة في عصر الضعف، بل حاولوا مجريين أن يمزجوا بعض مظاهر التجديد على القصيدة المدحية كالسبيل الذي سلكه أحمد شوقي لذلك، حيث أضاف بعض اللمسات التي تعبر عن روح العصر كالإشارة إلى ظهور حزب الاشتراكيين في قصيدته الهمزية حيث يقول:

الاشتراكيون أنتَ إمامُهُمُ *** لولا دعاوي القوم والغلواء²

¹ البارودي. كشف الغمة. ص14.

² أحمد شوقي. الأعمال الشعرية الكاملة. ص38.

قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

1-ابن منظور أبو الفضل جمال الدين ، لسان العرب ج2 ، بيروت ، ب ط ، 1956

2- أحمد شوقي. الأعمال الشعرية الكاملة. مج1، دار العودة. بيروت 1988.ص34.¹

3-أحمد شوقي. الشوقيات، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، مصر، د ط ، 2012.

4-أحمد شوقي. ديوان نهج البدر. شرح الشيخ سليم البشري، مكتبة الآداب، 46 ميدان الأوبرا، القاهرة.

5- أحمد محرم . ديوان مجد الإسلام .مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة . جمهورية مصر العربية.

6-الأعشى. ديوان الأعشى. قدمه: محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1993.

7- جابر عصفور. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب. المركز الثقافي العربي - بيروت، لبنان، ط3.

8- جميل حمداوي ، شعر المديح النبوي في الأدب العربي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ب ط ، 2007 .

9-الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ت.

10- ديوان أبي طالب. شرحه: محمد التونجي، دار الكتاب العربي. بيروت، ط1، 1994م.

11- ديوان الشوقيات، أحمد شوقي ج1، شركة مساهمة مصرية، مصر، ب ط، ب ت.

12- ديوان البوصيري ، شرف الدين أبي سعد الله محمد بن سعيد البوصيري ، تح : محمد سيد كيلاني ، شركة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط1 ، 1955م.

13- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1994م.

14- ديوان عبد الله بن رواحة. تح: وليد قصاب. دار العلوم، ط1، 1982م.

15-ديوان كعب بن زهير. علي فاعور. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ب، ط، 1996م.

16-ديوان كعب بن مالك. تح: مجيد طراد. بيروت، ط1، 1997م.

17- ديوان محمد العيد آل خليفة ، دار الهدى عين ملية ، الجزائر ، د ط ، 2010م.

18- ديوان محمود سامي البارودي ، كشف الغمة في مدح سيد الأمة ، مطبعة الجريدة ، يسراى البارودي ، مصر ، ب ط ، 1327.

- 19- زكي مبارك ، المدائح النبوية ، دار المحجة البيضاء ، مصر ، ط2 ، ب ت .
- 20- سامي الدهان ، المديح ، دار المعارف ، بيروت ، ب ، ط ، ب ، ت .
- 20- سعيد بن عبد الله الواصل، موسوعة العروض والقافية.
- 21- شوقي ضيف. شوقي شاعر العصر الحديث. الهيئة المصرية للكتاب. القاهرة 2010م.
- 22- شوقي ضيف. في النقد الأدبي. دار المعارف 1119، القاهرة، مصر، ط9.
- 23- عبد العزيز عتيق. علم المعاني. دار النهضة العربية. بيروت، لبنان، ط1، 1430هـ، 2009م.
- 24- عزالدين اسماعيل. الشعر العربي المعاصر-قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية- دار الفكر العربي، ط3.
- 25- علي أبوزيد ، البديعيات في الأدب العربي ، نشأتها وتطورها وأثارها ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان، ط 1 ، 1409 هـ -1983 م .
- 26- في الشعر الجزائري المعاصر ، نماذج مختارة لنيل شهادة الماستر . أدب عربي حديث ومعاصر جامعة أم البواقي ، 2018 ، 2019م.
- 27- مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، دار المعارف، مصر، ط2 ، 1973م.
- 28- محمد العيد آل خليفة. ديوان محمد العيد آل خليفة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر .
- 29- محمود سامي البارودي. ديوان البارودي. دار العودة، بيروت، لبنان، 1998.
- 30- محمود سامي البارودي. كشف الغمة في مدح سيد الأمة. مصر، مطبعة الجريدة 1367هـ.
- 31- محمود علي المكي ، المدائح النبوية ، الشركة المصرية لونجمان ، لبنان ، ط 1 ، 1991م.
- 32- نازك الملائكة . ديوان يغير ألوانه البحر . الهيئة العامة لقصور الثقافة . القاهرة . 1998
- 33- يوسف بن أبي بكر بن علي السكاكي . مفتاح العلوم . دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان، ط1، 1983م.
- الرسائل الجامعية:**
- 1- إيمان موالدي ليلي مقري، فن المعارضة في الشعر الأندلسي، معارضة أبوبكر الأشيوي لأبي فيراس الحمداني، نموذجاً شهادة مكتملة لنيل شهادة الماستر ، جامعة العربي بن مهيدي ام البواقي الجزائر ، 2016-2017م.

- 2-حكيمة بوشلاق، استتساخ نص المديح النبوي من التأسيس إلى الإكتمال النموذج ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراء، العلوم في الأدب العربي ، جامعة محمد بوضياف مسيلة الجزائر ، 2017م.
- 3-سعيد القوراري، المدائح النبوية ، الشعر الأندلسي في القرن الثامن هجري ، مضامينها وأشكالها الفنية، لسان الدين الخطيب وابن جابر، نموذجا أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في الأدب العربي، 2016-2017م.
- 4-عبلة سيعة، الصورة الشعرية في المديح النبوي ، الشاعر حسان بن ثابت ، أنموذجا ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر جامعة العربي بن مهدي، أم البواقي. الجزائر 2013م.
- المواقع الإلكترونية:
- 1-عبد المجيد ت، المديح النبوي في الشعر العربي الحديث، 2016/12/19م.
- www.nidaalhind.com

1- أحمد شوقي:

ولد أحمد بن علي بن أحمد شوقي يوم 20 رجب 1287 هـ الموافق 16 أكتوبر/تشرين الأول 1868 في حي الحنفي بالقاهرة القديمة، لأب كردي وأم من أصول تركية شركسية، وكانت جدته لأمه تعمل وصيفة في قصر الخديوي إسماعيل وعلى قدر كبير من الغنى والثراء، فتكفلت بتربيته ونشأ معها في القصر.

التحق في الرابعة من عمره بكتاب الشيخ صالح في حي السيدة زينب فحفظ بعضاً من القرآن الكريم وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، ثم دخل "مدرسة المبتديان" الابتدائية، وبعدها دخل الثانوية فأظهر نبوغاً فائقاً كوفئ عليه بالإعفاء من المصروفات الدراسية، وانكب على دواوين فحول الشعراء العرب حفظاً واستظهاراً، فطفق الشعر يجري على لسانه.

التحق وهو في الخامسة عشرة من عمره بمدرسة الحقوق والترجمة -كلية الحقوق لاحقاً- منتسباً إلى قسم الترجمة، وبعد تخرجه سافر 1887 إلى فرنسا على نفقة والي مصر الخديوي توفيق، فتابع دراسة الحقوق في فرنسا، واطلع على روائع الأدب الفرنسي، وعاد إلى مصر 1891م. عُين عقب رجوعه من فرنسا رئيساً للقلم الإفرنجي في ديوان الخديوي عباس حلمي، وانتدب سنة 1896 لتمثيل الحكومة المصرية في مؤتمر المستشرقين المنعقد بسويسرا.

بدأت مواهب شوقي الشعرية تلفت الأنظار وهو طالب في مدرسة الحقوق، كما دأب -خلال وجوده في فرنسا- على إرسال قصائد في مدح الخديوي توفيق، وبعد عودته إلى مصر أصبح "شاعر القصر" المقرب من الخديوي عباس حلمي الذي تولى الحكم إثر وفاة والده توفيق، وكانت سلطته مهددة بهيمنة المحتل الإنجليزي.

يرجع النقاد تأييده للخديوي إلى عدة أسباب، منها أن الخديوي هو ولي نعمته الذي تولى رعايته، ومنها الدافع الديني الذي كان يوجه الشعراء على اعتبار أن الخلافة العثمانية هي خلافة إسلامية يجب عليهم الدفاع عنها.

هاجم شوقي الاحتلال البريطاني لمصر مما أدى إلى نفيه إلى إسبانيا 1914م، وفي المنفى اطلع على الأدب العربي ومظاهر الحضارة الإسلامية في الأندلس فنظم الكثير من درر شعره إشادة بها، وحينما إلى بلده مصر التي عاد إليها بعد قضائه أربع سنوات في المنفى.

وقد كان شوقي من أخصب شعراء العربية إنتاجا، فقد كتب ما يزيد على 23 ألفا وخمسمائة بيت، وفي سنة 1927 بايعه شعراء العرب كافة "أميرا للشعراء" في حفل كبير أقيم بالقاهرة، وبعد ذلك انصب اهتمام شوقي على الشعر المسرحي فأصبح رائده الأول على المستوى العربي. جمع شوقي شعره في ديوان "الشوقيات" الذي صدر في أربعة أجزاء، ثم قام الدكتور محمد السريوني بجمع الأشعار التي لم يضمها الديوان في مجلدين أطلق عليهما "الشوقيات المجهولة". اشتهر أمير الشعراء بشعر المناسبات الاجتماعية والوطنية، وبالشعر الديني الذي خصص له العديد من القصائد، منها: "نهج البردة"، و"الهمزية النبوية"، و"سلوا قلبي"، وله ملحمة رجزية طويلة بعنوان: "دول العرب وعظماء الإسلام" بلغت 1726 بيتا، نظمها في منفاه بالأندلس. كتب العديد من المسرحيات الشعرية منها: "مصرع كليوباترا"، و"مجنون ليلي"، و"قمبيز"، و"علي بك الكبير"، و"أميرة الأندلس"، و"عنتره"، و"الست هدى"، و"البخيلة"، و"شريعة الغاب"، وكتب أيضا روايات منها: "الفرعون الأخير"، و"عذراء الهند"، وله في النثر كتاب "أسواق الذهب" الذي انتهج فيه أسلوب المقامات الأدبية.

توفي أمير الشعراء أحمد شوقي يوم 14 جمادى الآخرة 1351هـ الموافق 14 أكتوبر/ 1932م.

-نهج البردة:

رَيْمٌ عَلَى الْقَاعِ بَيْنَ الْبَانِ وَالْعَلَمِ *** أَحَلَّ سَفَاكَ دَمِي فِي الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ
رَمَى الْقَضَاءُ بَعَيْنِي جُوْدَرٍ أَسْدًا *** يَا سَاكِنَ الْقَاعِ أَدْرِكِ سَاكِنَ الْأَجْمِ
لَمَّا رَنَا حَدَّثْتَنِي النَّفْسُ قَائِلَةً *** يَا وَيْحَ جَنْبِكَ بِالسَّهْمِ الْمُصِيبِ رُمِي
جَحَدْتُهَا وَكَتَمْتُ السَّهْمَ فِي كَيْدِي *** جُرْحُ الْأَحِبَّةِ عِنْدِي غَيْرُ ذِي أَلْمِ
رُزِقْتَ أَسْمَحَ مَا فِي النَّاسِ مِنْ خُلُقٍ *** إِذَا رُزِقْتَ التَّمَّاسَ الْعُذْرِ فِي الشَّيْمِ
يَا لَائِمِي فِي هَوَاهُ وَالْهَوَى قَدَرٌ *** لَوْ شَفَاكَ الْوَجْدُ لَمْ تَعْذِلْ وَلَمْ تَلْمُ
لَقَدْ أَنْتَنَّاكَ أَدْنَى غَيْرِ وَإِعْيَاةٍ *** وَرُبَّ مُنْتَصِبٍ وَالْقَلْبُ فِي صَمَمِ

يا ناعِسَ الطَّرْفِ لا ذُقْتَ الهَوَى أَبَداً *** أسَهَرْتَ مُضناكَ في حِفْظِ الهَوَى فَنَمَ
أَفدِيكَ إِفاً وَلا آلو الخِيالِ فـدِي *** أَغراكِ بِالْبُخْلِ مَن أَغراهُ بِالكَرَمِ
سَرى فَصادَفَ جُرحاً دامِياً فأسا *** وَرُبَّ فَضْلِ عَلى العُشاقِ لِلحُلمِ
مَن المَوائِئِسُ باناً بِالـرُوى وَقنأ *** اللاعِباتُ بِروحي السافِحاتُ دَمي
السافِراتُ كَأَمثالِ البُـدورِ ضُحى *** يُغِرْنَ شَمسَ الضُحى بِالحَلِي وَالعِصمِ
القائِلاتُ بِأجـ_____فانِ بِها سَقَمٌ *** وَلِلْمَنِيَّةِ أسبابٌ مِنَ السَقَمِ
العائِراتُ بِالبابِ الرِجالِ وَما *** أَقِلنَ مِنَ عَثَراتِ الذَّلِّ في الرِسمِ
المُضرماتُ خُـدوداً أسَفَرتُ وَجَلتُ *** عَن فِتنَةٍ تُسَلِّمُ الأَكبادَ لِلضَرمِ
الحامِلاتُ لِواءِ الحُسنِ مُختَلِفاً *** أَشكالُهُ وَهُوَ فَردٌ غَيرُ مُنقَسِمِ

-الهمزية النبوية:

وُلِدَ الهُدَى فَالكاِناتُ ضِياءً *** وَفَمُ الرِمانِ تَبَسُّمٌ وَتِناؤُ
الروحِ وَالْمَلأُ المَلائِكُ حَولَهُ *** لِلدِينِ وَالدُنيا بِهِ بُشَراءُ
وَالعَرشُ يَزهُو وَالْحَظيرَةُ تَزدهي *** وَالْمُنْتَهى وَالسِدرَةُ العِصماءُ
وَحدِيقَةُ الفُرقانِ ضاحِكَةُ الرِيا *** بِالترْجُمِ انِ شَدِيقَةُ عَناءُ
وَالوَحى يَقُطرُ سَلسَلاً مِنَ سَلسَلِ *** وَاللِوَحُ وَالقَلَمُ البَدِيعُ رِواءُ
نُظِمَتِ أسامِي الرُسلِ فَهِيَ صَحِيفَةٌ *** فِي اللِوَحِ واسِمُ مُحَمَّدٍ طُغَراءُ
إِسمُ الجَلالَةِ في بَدِيعِ حُرُوفِهِ *** أَلِفٌ هُنالِكَ واسِمُ طَهَ الباءُ
يا خَيرَ مَن جاءَ الوُجودَ تَحِيَّةً *** مِنَ مُرسَلينَ إِلى الهُدَى بِكَ جاؤوا
بَيتُ النَبِيِّنَ الَّذي لا يَلتَقِي *** إِلا الحَنائِفُ فِيهِ وَالْحَنَفاءُ
خَيرُ الأَبِواءِ حازَهُم لَكَ آدَمُ *** دُونَ الأَنامِ وَأَحَرَزَتِ حَواءُ
هُم أَدرَكوا عِزَّ النُبُوَّةِ وَانْتَهَت *** فِيها إِليكِ العِزَّةُ القَعساءُ
خُلِقَت لِبيَّتِكَ وَهُوَ مَخْلُوقٌ لَها *** إِنَّ العِظامِ كُفُوها العِظماءُ
بِكَ بَشَرَ اللَهُ السَماءَ فُرِيتُ *** وَتَضَوَّعَتِ مِسْكَاً بِكَ الغَبَراءُ
وَبَدا مُحِياكَ الَّذي قَسَمائُهُ *** حَقٌّ وَغَرَّتُهُ هُدَى وَحِياؤُ

وَعَلَيْهِ مِنْ نَوْرِ النُّبُوَّةِ رَوْنَقٌ *** وَمِنْ الْخَلِيلِ وَهْدِيهِ سِيْمَاءُ
أَثْنَى الْمَسِيحِ عَلَيْهِ خَلْفَ سَمَائِهِ *** وَتَهَلَّلَتْ وَاهْتَزَّتِ الْعِذْرَاءُ
يَوْمَ يَتِيَهُ عَلَى الزَّمَانِ صَبَاحُهُ *** وَمَسَاوُهُ بِمُحَمَّدٍ وَضَاءُ
الْحَقِّ عَالِي الزُّكْنِ فِيهِ مُظْفَرٌ *** فِي الْمُلْكِ لَا يَعْلُو عَلَيْهِ لَوَاءُ

2- محمود سامي البارودي:

ولد محمود سامي بن حسن حسين بن عبد الله البارودي عام 1839م في مدينة دمنهور - محافظة البحيرة - بمصر لأبوين من أصل شركسي في أسرة ذات ثراء ونفوذ وسلطان، فقد كان والده ضابطا في الجيش المصري برتبة لواء.

تعلم البارودي القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ النحو والصرف، ودرس قليلا من الفقه والتاريخ والحساب، حتى أتم دراسته الابتدائية في مدرسة المبتديان بالقاهرة عام 1851م. التحق وهو في الـ12 بالمدرسة الحربية سنة 1852، وبدأ يظهر شغفا بالشعر العربي وشعرائه الفحول، حتى تخرج عام 1855 والتحق بالجيش السلطاني.

سافر إلى الآستانة عام 1857، وتمكن أثناء إقامته من إتقان التركية والفارسية ومطالعة آدابهما، وحفظ كثيرا من أشعارهما.

ساعده تمكنه من التركية والفارسية على الالتحاق بنظارة الخارجية العثمانية، ولما عاد إلى مصر عام 1863 عمل مساعدا لإدارة المكاتبات بين مصر والآستانة، ثم حن إلى حياة الجندية، فانتقل إلى الجيش (الحرس الخديوي) برتبة بكباشي، وعين قائدا لكتيبتين من فرسانه. كان أحد أبطال ثورة 1881م الشهيرة ضد الخديوي توفيق بالاشتراك مع أحمد عرابي، وبعد سلسلة من أعمال الكفاح والنضال ضد فساد الحكم، و ضد الاحتلال الإنجليزي لمصر عام 1882م قررت السلطات الحاكمة نفيه مع زعماء الثورة العربية في سنة 1882 إلى جزيرة سرنديب.

بقي في المنفى بمدينة "كولومبو" عاصمة سريلانكا أكثر من 17 عاما، يعاني الوحدة والمرض والغربة فسجّل كل ذلك في شعره النابع من الألم والمعاناة.

وهناك تعلم الإنجليزية حتى أتقنها، ثم انصرف إلى تعليم أهل الجزيرة اللغة العربية، ليعرفوا لغة دينهم الحنيف، واعتلى المنابر في مساجد المدينة ليُفِّقه أهلها شعائر الإسلام.

وطوال تلك الفترة ظل يرسل قصائده الخالدة، يسكب فيها آلامه وحنينه إلى الوطن، ويرثي من مات من أهله وأحبابه وأصدقائه، ويتذكر أيام شبابه ولهوه وما آل إليه حاله، ومضت به أيامه في المنفى ثقيلة بطيئة، فاجتمعت عليه علل الأمراض، وفقدان الأهل والأحباب، فساءت صحته.

وبعد أن بلغ الستين من العمر واشتدت عليه وطأة المرض وضعف البصر، عاد إلى مصر يوم سنة 1899م.

ترك العمل السياسي، وفتح بيته بالقاهرة للأدباء والشعراء، وكان على رأسهم أحمد شوقي وحافظ إبراهيم ومطران خليل مطران وإسماعيل صبري، وقد تأثروا به جميعاً ونسجوا على منواله، فخطوا بالشعر خطوات واسعة، وأطلق عليهم "مدرسة النهضة" أو "مدرسة الإحياء". له ديوان شعر في جزئين، ومجموعات شعرية سُميت مختارات البارودي، جمع فيها مقتطفات لثلاثين شاعراً من العصر العباسي، ومختارات من النثر تُسمى قيد الأوابد. كما نظم قصيدة مطولة في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام، تقع في أربعمئة وسبعة وأربعين بيتاً، وقد جرى فيها قصيدة البوصيري الباردة قافية ووزناً، وسماها كشف الغمة في مدح سيد الأمة. توفي محمود سامي البارودي سنة 1904م.

-كشف الغمة في مدح سيد الأمة:

يا رائدَ البرقِ يَمِّمُ دَارَةَ الْعَلَمِ *** وَاحِدُ الْعَمَامِ إِلَى حَيِّ بِيذِي سَلَمٍ
وَإِنْ مَرَرْتَ عَلَى الرَّوْحَاءِ فَاْمُرْ لَهَا *** أَخْلَافَ سَارِيَةِ هَتَانَةِ الدَّيْمِ
مِنَ الْعِزَارِ اللَّوَاتِي فِي حَوَالِهَا *** رِيُّ النَّوَاهِلِ مِنْ زَرْعٍ وَمِنْ نَعَمٍ
إِذَا اسْتَهَلَّتْ بِأَرْضٍ نَمْنَمَتْ يَدُهَا *** بُرْدًا مِنَ النَّوْرِ يَكْسُو عَارِيَ الْأَكَمِ
تَرَى النَّبَاتَ بِهَا خُضْرًا سَنَابِلُهُ *** يَخْتَالُ فِي حُلَّةٍ مَوْشِيَّةِ الْعَلَمِ
أَدْعُو إِلَى الدَّارِ بِالسُّقْيَا وَبِي ظَمًا *** أَحَقُّ بِالرِّيِّ لَكِنِّي أَخُو كَرَمِ
مَنَازِلُ لِهَوَاهَا بَيْنَ جَانِحَتِي *** وَدِيعَةَ سِرُّهَا لَمْ يَتَّصِلْ بِفَمِي
إِذَا تَنَسَّمْتُ مِنْهَا نَفْحَةً لَعِبْتُ *** بِي الصَّبَابَةَ لِعَبِّ الرِّيحِ بِالْعَلَمِ
أَدِرْ عَلَى السَّمْعِ ذِكْرَهَا فَإِنَّ لَهَا *** فِي الْقَلْبِ مَنَزِلَةً مَرَعِيَّةَ الذِّمَمِ
عَهْدٌ تَوَلَّى وَأَبْقَى فِي الْفُؤَادِ لَهُ *** شَوْقًا يَفُلُّ شِبَابَةَ الرَّأْيِ وَالْهَمَمِ
إِذَا تَذَكَّرْتُهُ لَاحَتَ مَخَائِلُهُ *** لِلْعَيْنِ حَتَّى كَأَنِّي مِنْهُ فِي حُلْمِ
فَمَا عَلَى الدَّهْرِ لَوْ رَقَّتْ شَمَائِلُهُ *** فَعَادَ بِالْوَصْلِ أَوْ أَلْقَى يَدَ السَّلَمِ
تَكَاءَدَتْنِي خُطُوبٌ لَوْ رَمَيْتُ بِهَا *** مَنَاكِبَ الْأَرْضِ لَمْ تَنْبُتْ عَلَى قَدَمِ
فِي بِلْدَةٍ مِثْلِ جَوْفِ الْعَيْرِ لَسْتُ أَرَى *** فِيهَا سِوَى أُمِّ تَحْنُو عَلَى صَنَمِ
لَا أَسْتَقِرُّ بِهَا إِلَّا عَلَى قَلْقٍ *** وَلَا أَلْدُّ بِهَا إِلَّا عَلَى أَلَمِ
إِذَا تَلَفَّتْ حَوْلِي لَمْ أَجِدْ أَثْرًا *** إِلَّا خَيَالِي وَلَمْ أَسْمَعْ سِوَى كَلِمِي

فَمَنْ يَرُدُّ عَلَى نَفْسِي لُبَانَتَهَا *** أَوْ مَنْ يُجِيرُ فُؤَادِي مِنْ يَدِ السَّقَمِ
لَيْتَ الْفَطَا حِينَ سَارَتْ غُدْوَةً حَمَلَتْ *** عَنِّي رَسَائِلَ أَشْوَاقِي إِلَى إِضْمٍ

3- أحمد محرم:

أحمد مُحَرَّم هو الشاعرُ المصريُّ الشهيرُ أحمدُ بنُ حسن بن عبد الله الذي حدّدَ المؤرِّخون ولادته غيرَ الثابتة في قرية "إيبا الحمراء" في منطقة "الدلنجات" الواقعة في محافظة "البحيرة" سنة 1877م، علماً بأنّ ولادته في شهرٍ مُحَرَّم كانت السببَ في إضافة كلمة مُحَرَّم إلى اسمه، وقد كرّس الشاعرُ أحمدُ مُحَرَّم حياته لطلبِ العلم، ودراسة الأدب، وكتابة الشعر. بدأ الشاعرُ أحمدُ مُحَرَّم حياته التعليمية في المنطقة التي وُلِد فيها (الدلنجات)؛ إذ أقبلَ على مكتبة القرية، وتعلّم فيها أسسَ الكتابة، والقراءة، وبدأ بحفظ القرآن الكريم حتى أتمَّ حفظه وهو في الثانية عشرة من عُمره، ثمّ التحقَ بمدرسة العقادين الابتدائية، ومدرسة الجيزة في القاهرة، وبعد ذلك بدأ أحمد مُحَرَّم يتلمذُ على يد طائفةٍ من علماء جامعة الأزهر، فأخذَ عنهم علومَ اللغة العربية، ومنها: النحو، والعروض، والشعر، واكتسبَ معرفةً جيّدةً في هذه العلوم، وغيرها من علوم العربية، وأرادَ أن يستزيدَ في علمه؛ فتوجّه نحو دراسة، وحفظ التراث الأدبي العربي في مراحلهِ المختلفة، ولم يتوقّف أحمدُ مُحَرَّم عن طلبِ العلم، ودراسة الشعر حتى أصبحَ واحداً من أعلام الشعر العربي. [٢] صفات أحمد مُحَرَّم وسمات شعره تميّزَ أحمد مُحَرَّم بشخصيته الشعرية الحرّة الملتزمة، حيث بثَّ في شعره روحَ الوطنية ضمنَ المنهج الإسلامي، وبرزَ كمدافعٍ عن الوحدة الإسلامية، ومؤيّدٍ مُناجحٍ عن الخلافة العثمانية، وحذّرَ من الضياع، والتفريق الذي تسعى إليه الدُول الاستعمارية، أمثال: بريطانيا، وفرنسا، كما كانَ من الشعراء الذين جدّوا الصياغة الشعرية بعد أن تأثرت، وتدهورت خلالَ عصرِ الخلافة العثمانية، ومن الجدير بالذكر أنه ظهرَ مُتميّزاً عن غيره من الشعراء في تصويرِ البطولات الإسلامية من معارك، وغزوات، ومختلفِ الوقائع الثابتة، مُعتمداً في ذلك على سيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

وضعَ الشاعرُ، والأديبُ أحمدُ مُحَرَّم قَبْلَ وفاته العديدَ من المؤلفات، وفيما يلي ذكْرُ لأهمّها: الدواوين الشعرية، ومنها: ديوانُ الأقصى الحزين، وديوانُ مجد الإسلام، وديوانُ السياسات، وديوانُ الاجتماعيات والمراثي. المقالات، ومنها مقالاتٌ نُشِرت في مجلّات، وصُحف، مثل: أنيس الجليس، والمفتاح، والاستقلال، والثرية، والهلال، والمقتطف. الأبحاث النقدية، ومنها: بحثٌ في الشعر العصري، وآراء في تعليم المرأة وتربيتها، ونقدُ الشاعر حافظ إبراهيم، ومقالاتٌ في السياسة، وبحثٌ في شعر الهجاء. وظلَّ وُفياً لعلمه، وفنّه إلى أن تُوفّي سنة 1945م.

-محمد رسول الله(صلى الله عليه وسلم):

هذا إمام الدين في أعلامه***والدين معتصم بآس إمامه
يحمي حقيقته بقوة بطشه***ويصون بيضته بحدّ حسامه
شيخ الجهاد يود كل مجاهد***لو كان يدعى في الوغى بغلامه
عالي اللواء يقيمه بحدوده***ويبين المأثور من أحكامه
المصلحون على الزمان سيوفه***وجنوده في حربه وسلامه
عرفوا الجهاد به ومنه تَعَلَّمُوا***ما صحَّ من دستوره ونظامه
غضبت قريش أن جفا أصنامها***ووفى بعهد إلهه وذمامه
يغزو فوارسهم ويقتل جمعهم***حتى يدين مرامهم لمرامه
ويرى المحجّة كلُّ غاوٍ منهم***فيكفُّ عن طغيانه وعُرامه
ويتوب جاهلهم إلى دين الهدى***والنور من دين العمى وظلامه
دأفوا إليه وظنّ أكذبهم مُنَى***أنْ قد سقته يداه كأس حمامه
أكذاك ينخدع الغبيُّ وهكذا***يتخبط المفتونُ في أوهامه
مهلاً أبى لقد ركبت عزيمة***وأردت صرحاً لست من هُدَامه
صرح بناه الله أول ما بنى***وأطال من عرنينه وسنامه
لا يبلغ الباني ذراه ولا يُرى***في الداعمين بناءهم كدِعامه
مهلاً أبى فإن جهلت مكانه***فانهض إليه إن استطعت وسَامِه

4- محمد العيد آل خليفة:

ولد الشاعر محمد العيد سنة 1904 م، في بلدية عين البيضاء بولاية أم البواقي. وسط عائلة دينية محافظة متصوفة تنتمي إلى الطريقة التجانية تتحدر أصلاً من بلدة كوينين من ولاية واد سوف. انتقل مع أسرته إلى مدينة بسكرة ليكمل بها حفظ القرآن الكريم ويجلس في دروس الشيخ علي بن إبراهيم العقبلي إلى سنة 1921م، حين ألزم الشيخ سيدي العيد الثاني والده بإرساله إلى جامع الزيتونة للدراسة بعد أن كان ينتدبه للعمل معه في التجارة، وهذا مما جعل الشاعر محمد العيد يعطي المقام حقه ، فقد رثا صاحب نعمته حين وافاه الأجل ب بسكرة ، انتسب محمد العيد إلى جامع الزيتونة، وأصبح طالباً في الطبقة الثالثة (سبع طبقات) وبعد سنتين توقف عن الدراسة بتونس لأسباب صحية ليعود إلى بسكرة ويكمل مشواره العلمي على يد علمائها ومشايخها في دروسه الليلية بالمسجد العتيق ليدرّس عنه الفقه والحساب والفلك... وفي سنة 1927م انتدبته

جمعية الشبيبة الإسلامية بالجزائر العاصمة معلما بمدريستها فمكث بها معلما لمدة ثلاث سنوات ثم مديرا لها خلفا للشاعر محمد الهادي السنوسي إلى غاية 1941م، ليعود إلى بسكرة فمكث بها عدة أشهر ثم انتقل إلى باتنة.

ثم التحق بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ تأسيسها وكان شعره أداة من أدواتها وسجلا لمواقفها وكتابا لتاريخها، وأطلق عليه الشيخ عبد الحميد بن باديس لقب أمير شعراء الجزائر وقال فيه الشيخ البشير الإبراهيمي رافق شعره النهضة الجزائرية في جميع مراحلها، وله في كل نواحيها ، وفي كل طور من أطوارها، وفي كل أثر من آثارها القصائد الغر والمقاطع الخالدة، شعره لو جمع؛ سجل صادق لهذه النهضة وعرض رائع لأطوارها وقال عنه أيضا الأستاذ محمد العيد شاعر الشباب وشاعر الجزائر الفتاة ، بل شاعر الشمال الإفريقي بلا منازع. شاعر مستكمل الأدوات ، خصيب الذهن ، رحب الخيال ، متسع جوانب الفكر طائر اللمحة ، مشرق الديباجة ، متين التركيب ، فحل الأسلوب ، فخم الألفاظ ، محكم النسج ملتحمه ، متفرق القوافي ، لبق في تصريف الألفاظ وتنزيلها في مواضعها ، بصير بدقائق استعمالات البلغاء ، فقيه محقق في مفردات اللغة علما وعملا، وقّاف عند حدود القواعد العلمية، محترم للأوضاع الصحيحة في علوم اللغة كلها، لا تقف في شعره على كثرته على شذوذ أو رخصة أو تسمح في قياس أو تعقيد في تركيب أو معازلة في أسلوب، بارع الصنعة في الجنس والطباق وإرسال المثل والترصيع بالنكت الأدبية والقصص التاريخية.

وقال عنه الأمير شكيب أرسلان كلما قرأت شعرا لمحمد العيد الجزائري تأخذني هزة طرب تملك علي جميع مشاعري، وهو يعتبر أحد أبرز العلماء والمدرسين والشعراء الجزائريين الذين كافحوا الاحتلال ، وخدموا دينهم وأمتهم ووطنهم ، وفي مدينة باتنة مكث 06 سنوات يدير مدرسة التربية والتعليم التابعة لجمعية العلماء إلى غاية سنة 1944م، حيث منع من التعليم وقدم للمحاكمة ثم أغلقت المدرسة. ظل محمد العيد يواصل نشاطه العلمي والإصلاحي بباتنة إلى غاية سنة 1947م حيث اتجه إلى مدينة عين مليلة ليشرف على إدارة مدرسة العرفان المستقلة، وفي الوقت نفسه يؤم المصلين ويخطب فيهم بالمسجد العتيق للمدينة، وظل الاحتلال يلاحقه ويراقبه طوال إقامته ب عين مليلة إلى غاية اندلاع ثورة التحرير الكبرى.

واصل محمد العيد رسالته في التغني بالحرية والتبشير بالنصر والاستقلال والدعوة إلى دعم الثورة، ليجد نفسه وجها لوجه أمام آلة الاحتلال، فقد دعاه قاضي التحقيق للتصديق على منشور تتدد بالثورة تحت طائل التهديد بالسجن، فرفض رفضا قاطعا، وهكذا أوقف عن العمل بمدرسة

العرفان ثم أغلقت المدرسة نفسها وحولت إلى ملحقة لثكنة عسكرية، فواصل نشاطه النضالي بالمسجد والساحات، ليؤخذ في شهر جوان 1955م مكبلا إلى سجن المدينة ثم إلى سجن الكدية بقسنطينة وبعد 14 يوما قدم للمحكمة بتهمة التحريض ضد السلطة والدعوة للثورة ومساندتها. وبعد إطلاق سراحه عاود نشاطه من جديد إلى آخر السنة حيث اقتحموا عليه منزله بتهمة التحريض على إعدام المستوطن الفرنسي جوليان لتفرض عليه الإقامة الجبرية بمنزله ب بسكرة تحت الحراسة المشددة، فظل حبيس جدران بيته طوال أيام الثورة.

أما بعد الاستقلال فقد لازم الاعتكاف ببيته متعبدا ذاكرا زاهدا في الدنيا قليل المشاركة في النشاطات العامة والخاصة، فكان يقضي نصف السنة ببسكرة، ونصفها الآخر ببانتة حتى توفي بمستشفى مدينة بانتة سنة 1979م، ونقل جثمانه إلى بسكرة حيث دفن بمقبرة (العزيلات) بعد يومين من وفاته.

- ألا أنعم أيها الهادي:

من ذا الذي قد أتى للعالمين هدى *** ومن دعا للعلا والمجد مجتهدا؟
ومن تعرضت الدنيا إليه فلم *** يقبل عليها ولم يمدد إليها يدا
ومن أتاحت له لذاتها فنائي *** عنها، وفي طيبات العيش قد زهدا
ومن تصدى له الأعداء أجمعهم *** فلم بخفهم ولم يرهب لهم عددا
ومن أقام على الأخلاق دولته *** فمن سما خلقه فيها كمن عبدا
أساسها العدل والشورى دعامتها *** وروحها الرحمة الكبرى هنا وغدا
لا غرو أن سعد المستمسكون بها *** فكل راض بحكم الله قد سعدا
محمد ذاك ينبوع الكمالات من *** في هذه الليلة الغراء قد ولدا
جاء الوجود فألقى الناس في عمه *** والجهل فرقهم في دينهم بددا
حتى أتت رحمات الله تنفذهم *** فأشرق الكون مذ نجم الرسول بدا

خاتمة:

اكتمل المديح مع مرور الزمان حتى أصبح فنا قائما بذاته وغرضا مستقلا بأسلوبه، حيث تميزت المدائح النبوية عن غيرها من قصائد غرض المديح، لأنها نابغة من عاطفة صادقة وعقيدة راسخة، وإيمان عميق، ولم يكن غرضها التكسب بل كان حبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم. تميزت المدائح النبوية بالكثرة والشمولية بسبب عناية الشعراء بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لما تحمله من أهمية دينية، عقائدية، ولما تشتمل عليه من آداب رفيعة وأخلاق حميدة وقيم فاضلة ومبادئ سامية.

ومن خلال هذه الدراسة المتواضعة لمسنا ظاهرة اعتماد شعراء المديح النبوي في العصر الحديث على أسلوب المعارضات، ومحاكاة القدامى في الموضوعات والأوزان والقوافي وهو ما كان عند شوقي والبارودي الذين عارضوا بردة البوصيري.

وما لمسناه كذلك هو تنوع مضامين قصيدة المديح حيث جال الشعراء متتبعي سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك من خلال التطرق إلى صفاته الخلقية والخلقية وذكر معجزاته عليه الصلاة والسلام، وإبداء الشوق لزيارة الأماكن المقدسة، كما لا تخلو قصيدة المديح من الصلاة على الرسول طلبا لشفاعته بإذن الله يوم القيامة. أما الصورة الشعرية فلم تعرف جديدا سوى أنها جاءت مقلدة في أغلبها.

فهرس الموضوعات

الفصل الأول: شعر المديح في العصر الحديث

- مفهوم المديح النبوي: لغة واصطلاحاً.....ص 05

- نشأة شعر المديح النبوي وتطوره.....ص 06

- أشكال المدائح النبوية والمعارضات الشعرية في المديح النبوي.....ص 13

- الخصائص الفنية للمديح النبوي.

الفصل الثاني: جماليات قصيدة المديح النبوي في العصر الحديث.

- المضامين الشعرية في قصيدة المديح النبوي.

- الخصائص الفنية للمديح النبوي

